جامعة إب
مجلة الباحث الجامعي

الرهائن في الشرق الأدنى الإسلامي زمن الحروب الصليبية
489 – 692 هـ/ 1095 – 1292م

محمد عبد الله محمد المقدم
قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة تعز، اليمن
E-mail: mmokadam@gmail.com

الملخص

ظاهرة الرهائن لها جذور عميقة في تاريخ البشرية، لكنها برزت في فترة الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية على مسرح الشرق الأدنى بوصفها نتيجة طبيعية لكثرة العلاقات السلمية والحربية وتشعبها بين تلك القوى، وستتناول محاور هذه الدراسة تعريف ظاهرة الرهائن، وجذورها التاريخية، ودوافعها، وأهم حلقاتها، وميادينها، وفئات الرهائن، ومكانتهم الاجتماعية، ومعاملة الرهائن، وظروف وأماكن اِحتجازهم، ومصير الرهائن، وطرائق إطلاق سراحهم، وآثار اِحتجازهم ونتائجه.

الكلمات المفتاحية: الرهائن، الشرق الأدنى، الحروب، الصليبية، الحروب الصليبية

المقدمة

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على ظاهرة الرهائن البشرية في الشرق الأدنى الإسلامي[1] زمن الحروب الصليبية، وهي ظاهرة قديمة برزت في فترة الصراع بين القوى الإسلامية والمسيحية على مسرح الشرق الأدنى بوصفها نتيجة طبيعية لكثرة العلاقات السلمية والحربية وتشعبها بين تلك القوى، وستتناول محاور هذه الدراسة تعريف ظاهرة الرهائن، وجذورها التاريخية، ودوافعها، وأهم حلقاتها، وميادينها، وفئات الرهائن، ومكانتهم الاجتماعية، ومعاملة الرهائن، وظروف وأماكن اِحتجازهم، ومصير الرهائن، وطرائق إطلاق سراحهم، وآثار اِحتجازهم ونتائجه، وقد تم جمع المادة العلمية لهذه الدراسة من مصادرها المختلفة، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لتفسير ظاهرة الرهائن، وربط أشتاتها، وتحليل معطياتها، بمنهجية تعليلية تبين دوافع هذه الظاهرة وتداعياتها ونتائجها.

وتُعد ظاهرة الرهائن من الظواهر البارزة في عصر الحروب الصليبية؛ التي اشتعلت في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري، واستمرت طيلة القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين وشملت أجزاء واسعة من الشرق الأدنى الإسلامي، ومع توسع جبهات المواجهة بين المسلمين والصليبيين جنباً إلى جنب مع الحاجة للتفاهم والتعاون وقيام علاقات سلمية تزايد اللجوء إلى اِحتجاز الرهائن.

الرهائن بين المفهوم والدوافع:

أ – المفهوم:

يُعد مُصطلحا الأسرى والرهائن من المصطلحات المتداخلة في التراث العربي، ولذا ينبغي بيان أوجه الشبه والاختلاف بين الأسرى والرهائن؛ فالأسرى جمع لكلمة

أسير، والأسير في اللغة هو الأخيذ أو الحبيس أو السجين[2] والرهائن جمع لمفردة رهين أو رهينة ؛ والرهينة هي المعتقلة، وكل أمر يحتبس به شيء فهو رهينة، والرهينة بمعنى الضامنة، والراهن هو الذي يُسلم الرهن، والمرتهن هو الذي يأخذ الرهن ويستلمه[3]

والأسير في المفهوم المصطلحي هو الشخص الذي يقع في قبضة العدو أثناء الحرب أو بعدها[4] ، والرهينة هو الشخص الذي يحتجز أثناء فترة الحرب لضمان الوفاء بالالتزامات المتفق عليها بين الراهن والمسترهن[5]، وعادة ما يقع الأسرى في يد العدو أثناء الحرب أو عقبها، في حين يتم أخذ الرهائن خلال فترات الحرب والسلم، وغالباً ما يكون الرهائن من الفئات العليا أو المهمة في المجتمع في حين يقع في الأسر أشخاص من جميع الفئات، والأسير يُحجز دون رغبته وإرادته، والرهينة قد يُحتجز اضطراريّاً أو اختياريّاً، ويسقط الأسرى في شباك الأسر دون أن يكون لهم أو لآسريهم خيرة في انتقائهم، في حين يُقدم الرهناء رهائن مختارين بعناية، ويتم اختيار الرهائن أحيانّاً بالاسم من قبل المسترهنيين، وعادةً ما يحتجز الرهائن لفترات قصيرة، مقارنةً بفترات اعتقال الأسرى، ويُسلم الرهائن أو يتم تبادلهم على وفق تفاهمات أو اتفاقات بين الفرقاء، في حين يقع الأسرى في أيدي آسريهم عنوة وكُرهاً، ويُطلق سراح الأسرى مقابل فدية، أو ضمن عملية لتبادل الأسرى، بينما يُطلق سراح الرهائن بعد وفاء الرهناء بالتزاماتهم، أو على وفق عملية تبادلية.

ب – الدوافع:

تنوعت دوافع اِحتجاز الرهائن بين دوافع شخصية وسياسية واقتصادية ودينية ؛ فكثيرًا ما تم احتجاز الرهائن لتحقيق مطالب سياسية تتمثل في مبادلة الرهائن، وضمان ولاء المدن، وامتثال الرعايا وطاعتهم، وفرض السيادة والسيطرة السياسية، وتنفيذ الاتفاقات والمعاهدات، وإظهار حسن النية في الوفاء بالتحالفات، وتأمين تسليم المدن، وانسحاب المقاتلين والسكان بأمان.

واستخدم سلاح الرهائن أداة لتركيع السكان، والضغط على وجهائهم لمنع تمردهم على السلطات الحاكمة، فعندما حاصرت جموع الصليبية الأولى مدينة أنطاكية 490هـ /1097م خشي حاكم المدينة ياغي سيان (477 – 491هـ/1085 – 1098م) من تواطؤ النصارى المحليين مع الغزاة الفرنجة، فطرد الرجال خارج المدينة، واحتجز عوائلهم كرهائن ؛ ليضمن عدم مساندتهم للصليبيين[6] وتسلم الجيش الفرنجي الذي حاصر قلعة عزاز - شمال حلب - 491هـ/1098م رهائن من السكان "ليضمن ولاء أهل عزاز في المستقبل"[7] وتأكيداً للخضوع والتبعية للسيادة الفرنجية، وسلم أهالي مدينة أرسوف[8] رهائن لجودفري دي بوايون Godfrey de Bouillon حاكم بيت المقدس لثنيه عن محاصرة المدينة عام 493هـ / 1100م[9] وكإشارة ضمنية للاعتراف بالسيادة الصليبية، وهكذا اتخذت الرهائن أداة لكبح حركات التمرد والعصيان المتوقعة في المستقبل، واستخدمت هذه الوسيلة بكثرة مع الفئات والشرائح الاجتماعية غير الموثوق بها، ومع الأمم والشعوب التي دخلت حديثًا في طاعة حكام، وسادة جدد.

وأخذت الرهائن ضمن عمليات تبادلية بين الأطراف الإسلامية والصليبية، وتفادياً للمواجهات العسكرية ؛ فقد احتجز منصور بن ثبيل قاضي جبلة - جنوب اللاذقية - رهائن من الفرنج عام 584هـ / 1188م لمبادلتهم برهائن أهالي جبلة الذين سبق واحتجزهم فرنج أنطاكية لضمان عدم تمرد السكان على الصليبيين [10] وتُبُودِل الرهائن في ختام الحملة الصليبية الخامسة 618هـ / 1221م بين المسلمين والصليبيين ؛ لضمان تنفيذ اتفاقية إنهاء حالة الحرب ؛ التي نصت على انسحاب الفرنج من دمياط مقابل تأمين انسحابهم [11]، وهكذا كانت الدوافع السياسية

والعسكرية بارزة بقوة في ظاهرة احتجاز الرهائن، دون أن يعني ذلك التقليل من الدوافع الأخرى.

وقد استخدمت قضية الرهائن لتحقيق مكاسب دينية؛ حيث اعتاد بعض رهبان المنظمات التنصيرية المعنية بتحرير الأسرى المسيحيين على رهن أنفسهم لدى المسلمين مقابل إطلاق سراح إخوانهم الأسرى، لخشيتهم من تأثر الأسرى النصارى بالتعاليم الإسلامية، وتحولهم إلى دين الإسلام، كما رغب أولئك الرهبان القيام بدور تبشيري خفي في السجون والمعتقلات الإسلامية؛ لجذب المسلمين إلى المسيحية الكاثوليكية [12].

ولم تكن الدوافع الشخصية غائبة في ظاهرة الرهائن؛ فالقائد الصليبي جودفري تخوف من مقابلة الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين، وطلب رهائن لضمان سلامته خلال زحف جموع الحملة الصليبية الأولى تجاه الشرق عام 489هـ / 1096م [13] وهو الطلب نفسه الذي قدمه الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين Manuel Komnen (537 – 575هـ - 1143 - 1180) من فرنج أنطاكية أثناء زيارته للمدينة عام 554هـ / 1159م لخشيته من غدر الفرنجة [14]. وهذا يعكس نُقصان الثقة بين البيزنطيين والصليبيين الغربيين بسبب الاختلافات السياسية والعرقية والمذهبية والحضارية.

وعادةً ما تُضطر حاميات المدن المحاصرة التي فقدت الأمل في المقاومة لتسليم رهائن للقوى المهاجمة بغرض تأمين أنفسهم، والحفاظ على رقابهم، وحماية أرواحهم من بطش تلك القوى الراغبة في استباحة الدماء والأعراض والأموال؛ وهذا ما فعله سكان وحامية عسقلان عام 548هـ / 1153م وحامية حصن تورون[15] عام 593هـ/ 1197م عندما عجزوا عن مقاومة الفرنجة [16] وسلمت حامية عكا في عام 587هـ/1191م رهائن للفرنجة "مقابل الإبقاء على أرواحهم"[17].

وكثيرًا ما كانت الدوافع الاقتصادية حاضرة بقوة في ظاهرة الرهائن البشرية؛ فالقوى الإسلامية والصليبية لجأت إلى احتجاز الرهائن كأمر لابد منه للوفاء بالالتزامات المالية، وضمان دفع أموال فداء الأسرى؛ فقد أشار المؤرخ الصليبي وليم الصوري إلى أن بعض الحكام المسلمين فرضوا ضرائب ثقيلة على كاهل النصارى الشرقيين، وأخذوا أطفالهم رهائن ضماناً للوفاء بالتزاماتهم المالية[18] وهي سياسة سار عليها الغزاة الفرنجة الذين دأبوا على أخذ رهائن من الفلاحين المسلمين في الساحل الشامي؛ الذين أثقلوهم بالجبايات والضرائب العينية والنقدية[19].

ودفع شاور برهائن من أسرته للملك الصليبي عموري الأول Amaury I (558 ـ 569هـ/ 1163 – 1174م) ريثما يدبر بقية الأموال التي التزم بها للفرنجة مقابل انسحابهم من الأراضي المصرية في عام 564هـ / 1168م[20] كما أن الملك الفرنسي الأسير لويس التاسع Louis IX (623 – 668هـ /1226- 1270 م)، قدم أخاه ألفونسو دي بواتييه Alfonso di Poitiers (ت: 670هـ/1271م) رهينة للمماليك حتى يستطيع تدبير القسط الأول من الفدية في نهاية الحملة الصليبية السابعة عام 648هـ/ 1250م [21] ويتبين مما سبق أن اِحتجاز الرهائن استخدم وسيلة للضغط بين الجهات المتحاربة لتحقيق مطالب ولكسب بعض المنافع المادية.

وعرفت الأمم الماضية في الشرق والغرب ظاهرة الرهائن، فنظام الرهائن البشرية كان شائعًا في الحضارات القديمة، ووجدت هذه الظاهرة لدى الأمم الإسلامية والمسيحية في العصور الوسطى، وكان نظام الرهائن البشرية مألوفًا لدى المسلمين العرب والترك والبيزنطيين وأمم غرب أوربا قبل وخلالها فترة الحروب الصليبية[22].

الرهائن في العلاقات الإسلامية -الإسلامية:

استخدم نظام الرهائن في البلاد الإسلامية ؛ إذ اعتاد بعض الحكام المسلمين على أخذ رهائن من الولاة التابعين لهم لضمان استمرارية طاعتهم ؛ فملك دمشق دقاق بن تتش (487 – 497هـ / 1095 – 1104م) عين محمد بن السباق الشيباني حاكمًا لمدينة الرحبة[23] وأخذ ولده رهينة[24] وتسلم خلف بن ملاعب حصن أفامية[25] (ت 499هـ / 1106م) من الفاطميين واحتجزوا ابنه رهينة حتى لا يتجاسر على خلع طاعتهم[26].

واستُعمل نظام الرهائن في العلاقات الإسلامية الإسلامية ضمانة لفداء الأسرى، ورمزاً لإظهار الخضوع للسلطات العليا ؛ فقدم إيلغازي الأرتقي ابنه أياز رهينه لخيرخان بن قراجا صاحب حمص ثمنًا لإطلاق سراحه من الأسرعام 508هـ/1114م[27] وأرسل عماد الدين زنكي حاكم الموصل (521هـ -541هـ/ 1127 -1146م) م ابنه رهينه للسلطان مسعود السلجوقي(525- 546هـ / 1131 - 1152م) عام 535هـ / 1141م[28] تعبيراً عن اعترافه بالسيادة السلجوقية، وتفاديًا لاجتياح السلاجقة لأراضيه.

ولجأ بعض الحكام المسلمين لأخذ رهائن من رعاياهم ؛ ففي عام 505هـ / 1111م أخذ ملك حلب رضوان السلجوقي (487هـ -506هـ -1095 – 1113م) رهائن من وجهاء المدينة لضمان استمرارية ولاء السكان له، خشية قيامهم بتسليم حلب إلى الجيوش الإسلامية المرابطة على أبواب المدينة[29] وهو الإجراء نفسه الذي اتخذه حاكم حلب عماد الدين زنكي الثاني بن قطب الدين (578 – 579هـ/1182 – 1183م) لخوفه من قيام الحلبيين بتسليم المدينة لصلاح الدين الأيوبي عام 579هـ/1183م[30].

كذلك قام الحكام المسلمون بأخذ رهائن من النصارى المحليين[31] خصوصاً في المدن ذات الأغلبية المسيحية مثل الرها وأنطاكية، لاسيّما في الأوقات التي كانت تتعرض فيها ديار الإسلام للأخطار الخارجية، وبالطبع كان الهدف من ذلك ضمان طاعة أولئك الرعايا المختلفين دينيًا عن حكامهم، وبهدف الوفاء بالتزاماتهم المالية، وخشية تعاونهم مع أبناء ملتهم من البيزنطيين والصليبيين.

الرهائن في العلاقات المسيحية -المسيحية:

كان نظام الرهائن شائعًا في أوربا قبل فترة الحروب الصليبية، واستخدم منذ البدايات الأولى للحملات الصليبية، فحملة العامة الصليبية قدمت رهائن للسلطات البلغارية لضمان حُسن تصرفهم مع السكان لدى مرورهم بالأراضي البلغارية عام 489هـ/ 1096م[32] كما اُضطرت حملة الأمراء الصليبية لتقديم رهائن للهنغاريين لضمان عبور الأراضي المجرية بسلام، بعد الأذى والعنف والسلب والنهب الذي ألحقته أشتات حملة الرعاع الصليبية بالسكان الهنغار وأموالهم وممتلكاتهم[33].

ولم يكن الأمر قاصرًا على الحملة الصليبية الأولى فقط، وإنما أصبح جزءًا من سياسة قادة الحملات الصليبية التالية ؛ فالملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد Richard I the Lionheart (585- 595هـ/1189- 1199م) أجبر سكان صقلية على تقديم رهائن لضمان حُسن سلوك قيادتهم تجاه الإنجليز الذين توقفوا في الجزيرة قُبيل إقلاعهم إلى الشرق خلال الحملة الصليبية الثالثة[34] وفي عام 586هـ/1191م رفض المركيز كونراد مونتفرات Conrad of Montferrat (ت: 588هـ/1192م) مقابلة ريتشارد لتخوفه من خداعة وغدره، على الرغم من عرض رهينة لضمان سلامته[35] ومن المفارقات أن ريتشارد اضطر لتسليم رهائن إلى الإمبراطور الألماني هنري السادس Henry VI (587 -593هـ/ 1191 – 1197م) ضماناً للوفاء بتعهداته بسداد بقية فديته الضخمة بعد وقوعه في الأسر أثناء عودته من الشرق عبر ألمانيا في ختام الحملة الصليبية الثالثة[36] كما أجبر الإمبراطور فردريك الثاني Frederick II (617 – 648هـ/ 1220 – 1250م) أسرة

آل ابلين Ibelin الصليبية على تقديم عشرين رهينة من أعيان إقطاعي قبرص لضمان مساعدته في حملته الصليبية عام 625هـ/ 1228م[37].

وحفِلت العلاقات البيزنطية الصليبية المشوبة بالشكوك والريبة المتبادلة بالكثير من المحطات التي تم فيها اللجوء إلى أخذ أو تبادل الرهائن بين الطرفين؛ فبعد خسارة بوهيمند النورمانيBohemond Normany أمير أنطاكية (491 -498هـ / 1098 -1104م) حربه ضد ألكسيوس كومنين Alexios Komnen إمبراطور الدولة البيزنطية (473 – 511هـ/ 1081 -1118م) عام 499هـ/1106م) تم تبادل الرهائن، ووضعت الحرب أوزارها، وعُقدت معاهدة تعهد فيها بوهيمند بالولاء والتبعية للإمبراطور البيزنطي[38].

ولطالما عززت الحملات الصليبية من ميراث العداوة والكراهية بين البيزنطيين والصليبيين، فاحتجز لإمبراطور البيزنطي إسحق الثاني إنجيليوس Isaac II Angelos (551 – 600هـ/1156 – 1204م) سفراء الإمبراطور الألماني فريدريك باربا روسا رهائن لضمان عدم إضرار جحافل الصليبية الألمانية بالسيادة البيزنطية عام 458هـ / 1189م، لكنه تراجع تحت الضغط الصليبي الألماني وأطلق سراح الرهائن الألمان، ولم يكتف بذلك بل قدم "ولده وأخاه وأربعين نفرًا من خلصائه"[39] رهائن للإمبراطور الألماني وكضمانة أكيدة لتوفير مناخ ملائم وآمن لعبور الجيش الألماني للأراضي البيزنطية[40] ومن الواضح أن مسألة الرهائن عمقت الشكوك بين الجانبين الصليبي والبيزنطي أحيانًا، لكنها في أحيان كثيرة نزعت فتيل التوتر بين الجانبين، وأسهمت في حل مشاكلهما الآنية سلميًّا، وترحيل خلافاتهما الدائمة.

وباستثناء تقديم فيروز الأرمني Firuz Armenian ابنه رهينة لبوهيمند النورماني تأكيداً على خيانته للمسلمين، ووفاء لإخوانه في الدين الذين وعدهم بتسهيل مهمتهم في اقتِحام مدينة أنطاكية عام 491هـ/ 1098م[41] فاللافت للنظر عدم إشارة المصادر إلى مسألة الرهائن في علاقات الصليبيين بالنصارى المحليين على الرغم من ما ساد العلاقة بين الجانبين من توجس وعدم ثقة في معظم الأوقات، ويبدو أن عدم اِمتلاك معظم نصارى الشرق الخاضعين للسيادة الصليبية لوسائل السلطة والقوة، وقابليتهم للخضوع والتبعية للقوى الغازية قد أغنى الفرنجة عن أخذ رهائن من أولئك الرعايا المستضعفين؛ فالنصارى المحليين في الشرق الإسلامي لا يمكن مقارنتهم بالبيزنطيين أصحاب الشوكة والسلطان والذين كانت علاقتهم بالقوى الصليبية علاقة ندية.

الرهائن في العلاقات الإسلامية -الصليبية:

كان موضوع الرهائن حاضرًا بقوة في العلاقات الحربية والسلمية بين الأطراف الإسلامية والصليبية، فقد سارع بعض الحكام المسلمين لتقديم رهائن للفرنج كعلامة على التزامهم بعدم التعرض لجحافل الحملة الصليبية الأولى الزاحفة على القدس، وملتمسين منهم تجنيب مدنهم وأراضيهم ويلات الحرب والعدوان[42]، وعرض معين الدين أنر حاكم دمشق على فرنج مملكة بيت المقدس تسليمهم مدينة بانياس[43] وتحمل كافة نفقاتهم ثمنًا لمساعدته في التصدى لحصار عماد الدين زنكي لدمشق في عام 534هـ/ 1140م، وتعهد أنر بتسليم عدد من أقاربه وكبار رجال دولته رهائن برهانً على إخلاصه، وتأكيدًا لتنفيذ شروط الاتفاق[44] وقدم قلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم ما يزيد على عشرين أميرًا من أكابر دولته كرهائن لفردريرك بربروسا Friedrich Barbarossa إمبراطور المانيا (546 – 586هـ/ 1152 – 1190م) خلال الحملة الصليبية الثالثة لضمان عبورهم بأمان للأراضي السلجوقية في آسيا الصغرى[45] ويبدو واضحاً أن الفرنجة أجبروا الحكام المسلمين على ضمان سلامتهم عن طريق

ورقة الرهائن الرابحة، التي ضمنت للفرنجة مرورًا آمنًا، وحيَدَت أولئك الحكام عن مقاومة الغزو الصليبي.

ولجأت القوى الصليبية المحاصِرة للمدن الإسلامية أحياناً لوضع ترتيبات لاستسلام الحاميات العسكرية والسكان المدنيين؛ إذ سمح الفرنجة لحامية عسقلان وسكانها المحاصرين عام 548هـ/1153م بالخروج الآمن من المدينة وفقا لتفاهمات تضمنت تقديم رهائن سماهم الملك بلدوين الثالث Baldwin III (537 -557هـ/1143 - 1162م) بالاسم[46] كما استسلمت مدينة عكا لقادة الحملة الصليبية الثالثة عام 587هـ / 1191م على وفق ترتيبات مؤلمة صاحبها تسليم رهائن للجانب الصليبي[47].

وفي كلا الحالين كان المسلمون في موضع ضعف، لكن حالة الضعف كانت أكثر بروزًا في عكا التي استسلمت على وفق شروط قاسية جدًا فرضها الفرنجة، ولا شك في أن الملك بلدوين اختار رهائن من أعيان ووجهاء عسقلان المؤثرين والمعروفين؛ ليضمن انتقال حكم المدينة إلى الفرنج بسلاسة ويسر، وليحافظ على المدينة من عمليات السلب والنهب والتدمير التي ترافق عادةَ اقتِحام المدن، في حين قبل الفرنج عروض حامية عكا بتسليم عدد من أكابر أمراء وأعيان المدينة لتأكيد معاهدة الاستِسلام، وإذا كان الرهائن قد أسهموا في نجاح الترتيبات الأمنية لتسلم وتسليم عسقلان إلى الفرنج، فقد دفع الكثير من رهائن حامية عكا حياتهم ثمناً لعدم وضوح التفاهمات ودقة الترتيبات التي تمت بين حامية عكا وقادة الحملة الصليبية الثالثة.

وبدورهم سلم الفرنجة رهائن للمسلمين في العديد من المحطات التاريخية؛ ففي عام 502هـ/ 1109م وضع اثنا عشر من وجهاء مدينة تل باشر[48] أنفسهم رهائن لدى السلطات الإسلامية في الموصل فداءً لحاكمهم المحبوب جوسلين دي كورتناي Josselin de Courtenay[49] الذي وقع في الأسر مع سيده بلدوين أوف بورج Baldwin de Bourg أمير الرها (492 – 494هـ/1098 - 1100م) في معركة حران[50] والتي تسميها المصادر الصليبية معركه نهر البليخ في أوائل شعبان497هـ/ مايو 1104م[51].

ووصف المؤرخ الرهاوي المجهول أولئك الرهائن الذين حرروا جوسلين من محبسه بأنهم من "أعيان أصدقائه"[52] بينما ذكر ميخائيل السرياني أنهم أناس من تل باشر[53] ولا يُعرف على وجه التحديد ما إذا كان هؤلاء الرهائن من الأرمن الذين يشكلون غالبية سكان مدينة تل باشر، أم أنهم من رفاقه الفرنج، مع احتمالية أن يكونوا خليطًا من أصدقائه وخلصائه الفرنج والأرمن.

ولم يقف جوسلين مكتوف اليدين تجاه معاناة سيده بلدوين في الأسر، فجمع جزءًا من الفدية المطلوبة لحاكم الموصل جاولي سقاوو، ووضع نفسه رهينه بدلاً من بلدوين الذي تعهد بتدبير بقية الفدية لإطلاق سراح جوسلين[54] وتأثر جاولي بشجاعة جوسلين وفروسيته فأطلق سراحه[55] وأخذ عوضًا عنه أخا زوجته، وأخا زوجة بلدوين رهينتين إلى حين الوفاء بسداد بقية الفدية، وإطلاق سراح الأسرى المسلمين[56].

وعلى الرغم من أن جاولي قد اهتزت مشاعره لنُبل جوسلين وشهامته؛ لأنه عرض نفسه لمخاطر كبيرة في سبيل فداء ابن خالته وسيده بلدوين، وإذا كان ذلك الأمر عجيبًا في الشرق الإسلامي، فلم يكن ذلك التصرف مبهراً للمجتمع الصليبي الإقطاعي الذي كان بطبيعته امتداد للنظم الإقطاعية في غرب أوربا، التي رتبت للسيد الإقطاعي حقوقاً على تابعه؛ منها الإسهام في تحرير سيده من الأسر حتى لو تطلب الأمر رهن نفسه بديلاً وثمنًا لحرية سيده الإقطاعي[57].

ويعدّ نور الدين محمود بن زنكي من أكثر الحكام المسلمين الذين تسلموا رهائن من الفرنج لتأكيد ضمان دفع

قيمة فدائهم ؛ ففي معركة أرتاح[58] 559هـ/ 1164م هزم نور الدين الفرنجة، ووقع قادتهم في الأسر، وكان من بين الأسرى أمير أنطاكية بوهيمند الثالث Bohemond III (558 – 597هـ/ 1163 – 1201م) وريموند الثالث III Raymond أمير طرابلس (546 – 583هـ / 1152-1187م) وسلم بوهيمند رهائن لنور الدين لضمان دفع الفدية الضخمة التي تعهد بسدادها لنور الدين[59] ولم يُطلق سراح ريموند الثالث إلا في عام 567هـ/ 1172م بعد أن دفع مقدمًا خمسين ألف دينار، وقدم مائة رهينة من أبناء "أكابر الفرنج وبطارقتهم"[60] تأكيدًا لضمان دفع بقية الفدية المستحقة وقدرها ثلاثون ألف دينار[61] كما قدم حاكم صيدا رينو جارنيه Renauld Garnier رهائن لنور الدين لقاء فك أسر أخيه إستاس جارنيه Eustache Garnier[62].

وتجدر الإشارة إلى أن فرنجة يافا سلموا رهائن لقوات صلاح الدين التي استولت على المدينة عام 588هـ/1192م، وعجزت عن اِقتِحام قلعتها، نظير منحهم هدنة مؤقته بهدف ترتيب شروط الاستسلام وقواعده، وتأخير الهجوم الإسلامي على القلعة أملاً أن تصلهم نجدة صليبية، وبينما سيق الرهائن إلى دمشق، نجح الفرنجة في مناورتهم التفاوضية في كسب وقت ثمين تمكن خلاله ريتشارد قلب الأسد من نجدة حامية قلعة يافا، وانتزع المدينة من صلاح الدين[63].

ولم يقتصر اِحتجاز الرهائن على فئة الكبار ؛ بل تم اِحتجاز رهائن من الفئات العمرية صغيرة السن ؛ فقبيل قدوم الفرنجة إلى الشرق حرص بلدوك (بلدق) التركي حاكم سميساط[64] على أخذ أطفال أهالي الرها رهائن لضمان الوفاء بسداد الضرائب المفروضة عليهم[65] لكن دارت الأيام وخضعت الرها للحكم الصليبي، وحُررت من تلك الالتزامات البشرية والمادية، فقد انتزع الحاكم الصليبي الأول للرها بلدوين دي بويون de Bouillon Baldwin سميساط من بلدوك التركي عام 491هـ/ 1098م، وأجبره على عقد اتفاق يتم بموجبه إحضار زوجته وأولاده وأقاربه كرهائن إلى مدينة الرها، ودفع بلدوك روحه ثمنًا لمحاولته التملص من ذلك الاتفاق المهين[66].

وقدّم عمر صاحب حصن عزاز ابنه المحبوب محمود رهينة للفرنج ثمناً لمساندته ضد سيده رضوان السلجوقي صاحب حلب[67] وسلَّم الملك بلدوين الثاني Baldwin II (512- 525 هـ/ 1118- 1130م) لتمرتاش بن إيلغازي حاكم حلب ابنته الصغيرة جوفيتا Joveta ذات السنوات الخمس، وجوسلين الصغير بن جوسلين دي كورتناي الصبي ذا الأحد عشر ربيعًا، بالإضافة إلى عشرة رهائن آخرين من الأبناء الصغار لنبلاء الفرنج من أجل ضمان دفع فديته الباهظة، وإطلاق سراحه من الأسر عام 518هـ/1124م[68] ويتبين بوضوح أن أطفالاً في عمر الزهور اضطروا أو أجبروا على رهن أنفسهم من أجل إنقاذ آبائهم من الأسر، أو تم المخاطرة بحياتهم من أجل قيام أولئك الآباء بنسج تحالفات جديدة، وتحقيق أطماعهم ، ولا شك في أن أولئك الصغار انتزعوا من أحضان أمهاتهم، وأقحموا في قضايا لا تتناسب مع أعمارهم ، وأجسامهم الطرية، وقلوبهم البيضاء النقية.

ولا ريب أن تقديم رهائن من كبار السن قد يحمل في طياته نوايا مبيتة لنقض العهود والمواثيق التي تمت ضمانتها بالرهائن[69] لذلك حرص المسترهنون على اختيار رهائنهم من الأطفال الصغار ؛ فكبار السن الموت أقرب لهم من الحياة، كما أن خوف الآباء وقلقهم على أبنائهم يدفعهم إلى التعجيل بشراء حريتهم بأسرع وقت ممكن، وبأي ثمن كان، وهذا التعجيل يصب في صالح المسترهنين ؛ حيث يوفر لهم الكثير من الجهد والوقت والمال.

النساء الرهائن:

الجدير ذكره أن ظاهرة احتجاز الرهائن لم تستثن النساء منذ البدايات الأولى للحروب الصليبية ؛ فلم يسمح ملك المجر كولومان Coloman (488 – 509هـ/ 1095 - 1116م) للجموع الصليبية التي قادها جودفري دي بويون Godfrey de Bouillon عام 489هـ/1096م إلا بعد أن اشترط عليه أن يترك أخاه بلدوين وزوجته وأهل بيته رهائن لضمان حُسن تعامل صليبي اللورين – شمال فرنسا - مع الرعايا الهنغار وممتلكاتهم [70] ومن المفارقات أن بلدوين الذي أصبح أميرًا للرها اشترط على بلدوك التركي صاحب حصن سميساط تسليم زوجته وأولاده كرهائن لضمان استقرار الحكم الصليبي في بلاد الجزيرة الفراتية[71].

واشترط المسلمون أن يسلَّم الملك بلدوين الثاني طفلته جوفيتا رهنًا لإطلاق سراحه من أجل جمع الفدية المقررة عليه[72] وطلب الإمبراطور البيزنطي يوحنا الثاني كومنيين John II Komnenos (511 -537هـ/1118 – 1143م) إيزابيلا Ysable ابنة جوسلين الثاني Joselin II (514-538هـ/1121 – 1144م) أمير الرها رهينة علامة على الانقياد والخضوع للسيادة البيزنطية، ولضمان عدم عرقلة التحركات العسكرية البيزنطية في بلاد الجزيرة وشمال الشام في عام 537هـ/1142م[73].

وكثيرًا ما كانت النساء تخشى من الوقوع في شباك الأسر أو الرهن لما قد يترتب على ذلك من احتمالية إساءة معاملتهنّ، وانتهاك أعراضهنّ، فقد عاشت الملكة جوانا Joanna أخت الملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد وعروسته بيرينجاريا Berengaria أيامًا عصيبة في عرض البحر القبرصي عام 587هـ/1191م خوفاً من محاولات حاكم قبرص إسحاق دوكاس كومنين Komnen Isaac Doukas(579 -587هـ/ 1184 -1191م) اِحتجازهنّ كرهائن[74] خصوصًا وأنه كان معروفاً "بخسة طبعه، ولؤم نفسه"[75].

وكان مجرد ذكر الرهن النسوي يمثل هاجسًا مخيفًا ليس للنساء المعنيات فحسب ؛ بل لأزواجهنّ وأقاربهنّ[76] ويبدو أن ذلك جاء خشية من تعرضهنّ للإذلال والامتهان النفسي والجسدي، وتدنيس شرفهنّ وكرامة أهلهنّ، وكثيرًا ما حرصت عقائل النساء الكريمات على صون عفتهنّ، ونقاء سمعتهنّ، وطهارة سلوكهنّ.

ومع ذلك فقد يتم تسليم النساء رهائن كمبادرة صادقة من أحد الأطراف المتصارعة لطي صفحة الماضي، وتعبيرًا عن حسن النية ؛ وهذا ما فعله عماد الدين زنكي في عام 529هـ / 1135م، إذ صمَّم على الخروج من فتنة الخلافات السلجوقية العباسية للتفرغ للجهاد الإسلامي ضد الفرنجة، فقرر ملاطفة الخليفة المسترشد بالله العباسي (512 – 529هـ / 1118 – 1135م)، وكسب ثقته، فبذل له الهدايا والأموال، والتزم بالسمع والطاعة لدار الخلافة وقال "هذه والدتي، وجماعة من النساء رهائن على ذلك"[77] فاطمأنّ الخليفة، وسكنت نفسه، وصفح عما سلف من عماد الدين.

كما أن الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملكشاه أرسل في عام 550هـ / 1155م زوجته ومعها الكثير من الجواري إلى الخليفة المقتفي لأمر الله العباسي (530 – 555هـ/1136 – 1160م) تعبيرًا عن التزامه للخلافة "بالنصح والموافقة، ولزوم الطاعة"[78] ويبدو أن ثقة أولئك الحكام كانت في محلها ؛ حيث قابلتها الخلافة بثقة مقابلة، فأكرمت الرهائن النسوية، وبالغت في الإحسان إِلَيْهِنّ [79].

ويتضح مما سبق أن بعض الأمراء والحكام المسلمين كان لديهم ثقة كبيرة بمقام الخلافة العباسية، لذلك لم يتحرجوا من وضع أمهاتهم ونسائهم وجواريهم رهائن

لـدى دار الخلافـة في تعـبير صـادق عـن الرغبـة في المسـامحة والمصالحة، وبوصف الخليفة العباسي أبًا روحيًا للجميع، ومرجعية عليا للأمة الإسلامية.

ومع ذلك يلاحظ الطابع الجمعي في الرهـائن النسوية لـدى الجانـب الإسـلامي، كوسـيلة لتـوفير نـوع مـن الأمـن والأمان والاطمئنان لتلك النسوة، وحتى لا يثير بقاؤهنّ في الرهن الشكوك والإرتياب، كما أن صحبة الثقات والرفقة المأمونة تتوافق مع تقاليد المجتمع الإسلامي وأعرافه.

ويمكـن النظـر إلى الرهـائن النسـوية مـن زوايـتين مختلفتين؛ فعندما يقوم الراهن بعرض الرهن النسوي على الطرف الآخر، فهـو يعـبر عـن نواياه الحسنة، ومقاصـده النبيلـة، وثقتـه في المسـترهن، لكـن عنـدما يطلـب الطـرف المسترهن رهنـاً نسـويًّا، وخصوصًـا مـن الفتيـات صـغيرات السن، فهو يأخذ بأعلى درجات الحيطة والحذر، ويهـدف مـن وراء ذلـك ضـمان وفـاء الـراهن بكامـل تعهداتـه، وبأقصـى سـرعة ممكنـة، آخـذًا في حسـبانه أن ارتفـاع نسـبة القلق والخوف لدى أهالي النساء الرهـائن سـيدفعهم لتلبيـة جميع مطالبه كاملة غير منقوصة.

العلاقة بين عدد الرهائن وفديتهم وقـرابتهم للرهناء:

تفاوتـت أعـداد الرهـائن مـن حالـة إلى أخـرى، فقـد يكـون الـرهن فـردًا أو جماعـة، فجوسـلين رهـن نفسـه للإفراج عن سيده أمير الرها بلـدوين أوف بـورج، لكـن لم يُفرج عن جوسلين إلا بضمانة رهينتين مـن أقاربـه[80] ولم يُطلق سراح الملك بلـدوين الثـاني عـام 518هـ/1124م إلا بعـد تقديمـه اثنـى عشـر رهينـة مـن أطفـال كبـار نـبلاء الفرنج[81].

وفي نهايـة الحملـة الصـليبية الخامسـة انتقـى السـلطان الكامل الأيوبي (615 – 635هـ/1218 - 1238م) حـوالي عشـرين رهينـة مـن قـادة الفـرنج ونـبلائهم[82] وسـلم قلـج أرسـلان سـلطان سـلاجقة الـروم مـن عشـرين إلى أربعـة وعشـرين رهينـة مـن عليـة قومـه لإمبراطـور ألمانيـا فردريـرك بربروسـا عـام 586هـ/1190م[83] وقـد يصـل العـدد إلى مئات أو حتى آلاف من الرهائن؛ فريموند الثالث قـدم مائـة رهينـة مـن أبنـاء أكـابر الفـرنج لضـمان إطـلاق سـراحه مـن الأسر[84] في حين سلمت حامية عكا مـن ألفـين وسـبعمائة إلى ثلاثـة آلاف رهينـة للفـرنج[85] فلـم يحتجـز الفرنجـة جميع حُماة عكا وأهاليها، بل سمحوا للكثير منهم بمغادرة المدينة بعد أن "عرضوا وضع جميع الأعيان وذوي المراتـب الرفيعة من أهل المدينة بمثابة رهائن"[86].

وبـالطبع لابـد أن يكـون هنـاك تناسـب بـين أعـداد الرهـائن وقيمـة الفديـة المطلوبـة لتحريرأعـداد كـبيرة مـن الأسـرى؛ فقـد رفـض صـلاح الـدين عـام 583هـ/1187م عرض الأمير باليان دي إبلين Balian de Ibelin وبطريـرك القـدس هيرقليـوس Heraclius بـرهن أنفسهما لقاء إطلاق عدد كبير من فرنج القدس من ربقة الأسر قـائلاً لهمـا: "إنـه لا يسـتطيع القـبض علـى رجلـين مقابل أحد عشر ألف إنسان"[87].

فمع أن معيار العدد مهم، فإنه يجب ألا يكـون هنـاك تفاوت كبير بين العدد المعروض والـثمن المطلـوب، فمسألة النسـبة والتناسـب مهمـة للغايـة في العمليـات التفاوضـية المتعلقة بالأسرى والرهائن، كما يجب الأخذ بعين الاعتبار نوعية الرهائن، ومكانتهم الاجتماعية والسياسية التي تبدو أكثر أهمية أحيانًا في عمليات تسلم، أو تبادل الرهائن.

وبالنسبة لدرجة قرابة الرهـائن مـن راهنيهم يتـبين أن الأقارب من الدرجة الأولى كالآباء والأبناء والإخـوة كـانوا في طليعة الرهائن الـذين قـدمهم أهـاليهم تعبيرًا عـن حسـن نوايـاهم، وتأكيـدًا للإلتـزم بالتوافقـات المبرمـة، كمـا أن المسترهنين كانوا لا يثقون في وعود الـراهنين وعهـودهم إلا في حالة تقديمهم رهائن من قرابتهم اللصيقة والمباشرة.

وأحيانًا كان يتم الإكتفاء بتقديم رهينة واحدة مثل الابن أو الأخ أو الأب أو الزوج، وغالبًا ما كان الابن أو الابنة هو الرهينة المفضلة للمسترهنيين؛ لنفاستهم وعظم مكانتهم عند آبائهم وذويهم، وفي أحيان أخر كانت الرهائن مزدوجة أو مثلثة؛ فالرهينة المزدوجة قد تشمل صنفين من الأقارب، رهينة من أصول الشخص، وآخرى من فروعه. أو تشمل رهينة من القرابة المباشرة، وأخرى من القرابة غير المباشرة كالابن والأخ؛ فالسلطان الكامل قدم أحد أبنائه وأحد إخوته رهائن لضمان انسحاب سلس وآمن لفرنج الحملة الصليبية الخامسة[88] وقد تكون الرهينة مثلثة تشمل الزوج والزوجة والأبناء؛ فملك المجر استبقى بلدوين وزوجته وأبناءه رهائن لضمان مرور سهل وآمن لصليبي شمال فرنسا[89] وكما تكون الرهينة من القرابة بالنسب، فقد تكون الرهينة من القرابة بالمصاهرة؛ فجوسلين كورتناي أُطلق سراحه من سجون جاولي مقابل بقاء أخ زوجته وأخ زوجة بلدوين رهينتين[90].

فئات الرهائن ومكانتهم الاجتماعية:

تنوعت فئات الرهائن ومكانتهم ابتداءً بالملوك والأمراء، مرورًا بالوجهاء والأعيان والسفراء والقادة الدينيين، وانتهاءً بأهل الحرف والعبيد والجواري؛ فالحملة الصليبية الخامسة تمثل إنموذجًا لتبادل الرهائن من الفئات العليا كالملوك والأمراء والوجهاء والنبلاء، وكبار الأساقفة، وقادة المنظمات الدينية العسكرية؛ فقادة الحملة من الملوك والأمراء، وكبار الأساقفة، وقادة المنظمات الدينية العسكرية سلموا أنفسهم كرهائن مقابل تسليم المسلمين عدد من أمرائهم كرهائن للجانب الصليبي.

واحتجز إمبراطور بيزنطة إسحاق إنجيليوس Isaac Angelos (580 – 591هـ/ 1185-1195) سفراء الإمبراطور الألماني فردريرك باربوسا Frederick Barbarossa(550-586هـ/ 1155-1190م) الذين أرسلهم لترتيب عبور الصليبيين الألمان للأراضي البيزنطية عام 585هـ/ 1189م[91].

وأخذ حكام الرها المسلمين خمسين رهينة من النصارى المحليين من أهل الحرف والصُناع والبنائين والحدادين لخشيتهم من تآمر نصارى الرها مع الفرنجة بسبب اضطراب الأوضاع عقب اغتيال عماد الدين زنكي 541هـ/ 1146م[92].

وكثيرًا ما حرص الفرنجة على الاحتفاظ بالرهائن والأسرى المسلمين من أرباب الصنائع والحرف المختلفة للاستفادة من تجاربهم وخبراتهم ومعارفهم، فدموية ريتشارد قلب الأسد بحق رهائن عكا عام 587هـ/1191م إستثنت ذوي البسطة في القوة والجسم لاستخدامهم في بناء وهدم العمائر والقلاع[93].

ومع أن المكانة العالية للرهائن ضمانة أكيدة للوفاء بالالتزامات، فإن المكانة الرفيعة، والمناصب المرموقة للقادة لا تعني في كل الأحوال قربهم من قلوب الحكام، والارتباط بهم بروابط المودة والمحبة، فقد يكون تقديم رهائن من الفئات العليا أمرًا يدل في ظاهره على الحرص على الوفاء بالتعهدات الملزمة، وفي باطنه حيلة للتخلص من أولئك القادة المزاحمين لسلطات الملوك ونفوذهم؛ فالأمير قطب الدين بن قلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم سلم للإمبراطور الألماني نيفًا وعشرين أميرًا من أكابر دولته رهائن ممن كان يخافهم ويكرههم[94].

معاملة الرهائن:

اختلفت معاملة الرهائن وفقًا للعديد من الاعتبارات، فلا شك في أن الأهمية السياسية للرهائن، ومنزلتهم الاجتماعية، وفئاتهم العمرية، ونوعياتهم الجنسية، والاحتياطات الأمنية، والالتزامات المتبادلة، أسهمت بدور فاعل في تحديد نوع المعاملة، فغالبًا ما حظي رهائن الفئات العليا بمعاملة كريمة مقارنة بالمعاملة القاسية والوحشية لرهائن الفئات الدنيا.

فقد بالغ السلطان الكامل الأيوبي في إكرام الملوك والأمراء والقادة الصليبيين الرهائن، وأظهر الكثير من السرور بقدومهم "وأنعم عليهم، وضرب لهم الخيام"[95] وإذا كان الكثير من رهائن الفئات العليا قد غُمروا بالهدايا الثمينة، والإنعامات الجزيلة تكريمًا لهم، وتعظيمًا لقدرهم، فقد حدثت بعض الاستثناءات التي تعرض فيها رهائن النبلاء لمعاملة همجية؛ فالإمبراطور الألماني فردريرك الثاني ربط أيادي وأرجل رهائنه من وجهاء قبرص الصليبية، ووضعهم "داخل أقفاص خشبية واسعة، وبشكل بالغ الوحشية"[96].

أما رهائن الشرائح الضعيفة، فعادةً ما تعرضوا لمعاملة غير إنسانية؛ إذ كانوا يُرغمون على القيام بالأعمال الشاقة، وحمل المواد الثقيلة[97] ولا شك في أن رهائن الفئات المهمشة أجبروا على العمل في مجالات الهدم والبناء، والحدادة والزراعة، وفي المعاصر والمطاحن والمخابز، وسائر الأعمال البسيطة، في ظروف بالغة الخشونة والقسوة.

ولم تشر المصادر إلى نوعية طعام الرهائن وشرابهم وكسائهم لدى الأطراف الإسلامية والصليبية، ويبدو أن ذلك الأمر خضع لمعيار مكانة الرهائن؛ ولا شك في أن المسلمين عاملوا الرهائن نفس معاملتهم للأسرى؛ بل يمكن القول إنهم خصوهم بمعاملة تفضيلية على الأسرى مع ما يقتضيه ذلك من المبالغة في إكرامهم ورعايتهم، والرفق بهم، وإطعامهم، وكسوتهم.

ومن المتوقع أنه كان يُسمح بزيارة الرهائن، وتفقد أحوالهم ومتطلباتهم أسوة بالأسرى الذين سمحت القوى الإسلامية والصليبية بزيارتهم في بعض الحالات[98] فقد مكنت السلطات الإسلامية في مدينة شيزر - شمال غرب مدينة حماة - الملك بلدوين الثاني من زيارة ابنته الرهينة ورفاقها والاطمئنان على أوضاعهم عام 518هـ/1124م[99].

ولم تتناول المصادر التاريخية الجوانب الدينية للرهائن، لكن من المحتمل أنه تم السماح للرهائن بمزاولة شعائرهم، وتقاليدهم الدينية، والجدير بالذكر أن نسبة عالية من الرهائن كانوا من الفئات العليا التي حظِيت بمعاملة ممتازة، ومن غير المتصور السماح للرهائن بممارسة شعائرهم الدينية في أماكن عبادتهم المخصصة، فلا شك أن حياتهم كانت مُقيدة، وحريتهم الدينية كانت منقوصة.

أماكن الاحتفاظ بالرهائن وفترات احتجازهم:

تداخلت العديد من العوامل السياسية والأمنية والاجتماعية في تحديد أماكن الاحتفاظ بالرهائن، وغالبًا ما أتخذت القلاع والحصون أماكن آمنة وملائمة لاحتجاز الرهائن؛ وغالبًا ما احتجز المسلمون الرهائن الفرنجة في قلعة جعبر[100] وقلعة خرتبرت[101] وقلاع دمشق وحلب وحمص وشيزر[102] كما احتجز الرهائن في البيوت[103] ومن المتصور أن رهائن من الفئات العليا تم تحديد إقامتهم في القصور الأميرية والملكية.

ولا شك في أن النساء الرهائن لدى القوى الإسلامية والصليبية كُنَّ يحتجزنّ في أماكن خاصة خشية من امتهان كرامتهنَّ، وانتهاك أعراضهنَّ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن قواعد الإسلام وتشريعاته، وعادات المجتمع الإسلامي وتقاليده، تحرص أشد الحرص على أمن النساء وشرفهنَّ وعفتهنَّ.

ومع أن المصادر الإسلامية والصليبية لم توضح أماكن إحتجاز الأطفال، لكن من المتوقع أنه كان يتم التحفظ عليهم في قصور النبلاء والأمراء، أو يتم وضعهم في أماكن منفصلة عن الأماكن المخصصة للكبار، خشية تعرضهم للعنف، والإساءات اللفظية، والانتهاكات الجسدية.

وتباينت فترات احتجاز الرهائن من أيام إلى شهور وأعوام ؛ فحامية يافا الصليبية عرضت على صلاح الدين اِحتجاز رهائن من قادتها لمدة ليلة ويوم مقابل شِراء هدنة من صلاح الدين عام 588هـ/1192م[104] ومكثت جوفيتا ابنة الملك بلدوين الثاني ما يقارب سنة من طفولتها كرهينة لدى مسلمي شمال الشام في المدة من (518 - 519هـ/1124 - 1125م)[105] في حين مكث بعض رهائن الفرنجة بضع سنوات في سجون نور الدين وصلاح الدين في سبعينيات القرن الثاني عشر الميلادي[106] وغالبًا ما حرصت الأطراف الراهنة على ألاّ يطول بقاء ذويهم وأحبابهم مرهونيين في قبضة الأعداء، بل كانوا يحلفون الأيمان المغلظة، والعهود المؤكدة على شراء حريتهم في أسرع وقت ممكن[107].

فهناك فرق واضح بين المُدد الطويلة لاحتجاز الأسرى، والفترات القصيرة نسبيًّا للاحتفاظ بالرهائن ؛ فالكثير من الرهائن كانوا من الفئات العليا والشرائح التي تدور في فلكها ؛ وهي فئات تجمعها صلات القرابة، أو روابط الولاء والصداقة، كما أن هذه الفئات قادرة على فداء نفسها، وشراء حريتها بأموالها الطائلة، وعلاقاتها الواسعة، وصلاتها العميقة، ولا يخفى أن نسبة كبيرة من أولئك الرهائن جازفوا بحياتهم، وضحوا بحرياتهم من أجل كبرائهم وسادتهم وذوي قراباتهم، الذين بدورهم قابلوا الوفاء بالوفاء، فلم يَقِرُّ لَهُمْ قَرَارٌ ، ولم يهدأ لهم بال إلا بعد إطلاق سراح أهاليهم وخلصائهم.

مصير الرهائن:

تنوَّع مصيرالرهائن بصور وأشكال مختلفة ؛ فبعضهم نجح في الهروب من قبضة الرهناء، ومنهم من أطلق سراحه بالعفو والمنّ أو بفدية مالية، أو بموجب صفقة لتبادل الرهائن، وتحوّلت وضعية بعض الرهائن إلى حياة الرق والعبودية، وانتهت حياة آخرين بالوفاة أو القتل.

وبالنسبة لحالة فرار الرهائن، فقد تعددت طرائق الخلاص من الرهن ؛ فلم يهرب الرهائن بصورة نمطية واحدة ؛ فقد يهرب الرهائن بالحيلة أو باستخدام طرائق عنيفة، وقد يكون الهروب فرديًّا أو جماعيًّا، ويتم الهروب أحيانًا بخطط ذاتية من الرهائن أنفسهم، وفي أحيان أخر تتبنى الجهات الراهنة رسم وتنفيذ خطط تهريب رهائنها من معتقلات خصومها، وأسهم المكلفون بالحراسة سواء بأهمالهم أو بتواطئهم، في هروب بعض الرهائن.

فقد تمكن حاكم مدينة الرحبة محمد بن السباق الشيباني من إرسال مجموعة استخباراتية إلى دمشق نجحت في سرقة ابنه الرهينة وتهريبه [108] مستغلاً حالة الارتباك التي سادت دمشق عقب وفاة ملكها دقاق ابن تتش497هـ/1104م وانتقال السلطة إلى طُغتكين.

وتضاربت الروايات حول طريقة الهروب الجماعي لوجهاء تل باشر الذين وضعوا أنفسهم رهائن لفداء سيدهم الكونت جوسلين عام 502هـ/ 1109م ؛ فبينما اكتفى المؤرخ الرهاوي بذكر خبر هروبهم دون أي تفصيلات[109] يشير المؤرخ السرياني إلى أنهم نجحوا في كسر أبواب البيت المُحتجزين فيه[110] في حين يقدم المؤرخ وليم الصوري المزيد من المعلومات حول طريقة فرارهم، إذ قال: إن الرهائن تسللوا خفية بعد أن قتلوا حراسهم الذين أسكرتهم نشوة الخمر[111].

واختلفت المصادر التاريخية حول الكيفية التي تخلص فيها الكونت جوسلين من شباك الرهن، وتُشير رواية المؤرخ الرهاوي إلى أن جوسلين حظي بإعجاب جاولي حاكم الموصل الذي غمره بالهدايا، وأخلى سبيله بدون فدية[112] ولكن عادةَ لم يكن يُطلق سراح الرهائن الأمراء، وأرباب الأموال إلا بعد الوفاء بكافة التزاماتهم المالية.

وتم تبادل الرهائن بين القوى الإسلامية والصليبية في الكثير من المحطات التاريخية، فبموجب اتفاقية استسلام مدينة صور للفرنجة عام 518هـ/1124م تبادل الجانبان الرهائن[113] وتوجت الحملة الصليبية الخامسة بتبادل الرهائن، وانسحاب الفرنجة من الديار المصرية[114] وأحيانًا كان يتم إطلاق سراح الرهائن على وفق عملية مُناقلة بعد انتهاء مُدد الحجز المحددة للرهائن القدامى، شريطة إحلال رهائن بُدلاء مكانهم على وفق قواعد محددة، وشروط معينة[115].

وانتهت حياة بعض الرهائن بالانحدار إلى عالم الرق والعبودية، فقد أدى وصول نجدة إسلامية لمساعدة حامية حصن تورون على الصمود أمام هجمات الصليبيين الألمان عام 593هـ1197م إلى تراجع المسلمين عن تسليم الحصن، والتضحية بالرهائن الذين كانوا قد سُلِّموا للصليبيين[116] وقد كسب المسلمون الحصن، لكنهم خسروا الرهائن الذين طواهم الزمان في عالم النسيان.

ومثلما انتهت مسيرة حياة بعض الرهائن بالعبودية، تخطف الموت حياة آخرين؛ فقد اختتم محمود بن عمر صاحب عزاز حياته رهينة لدى القائد الصليبي جودفري، ومرض "ومات عنده"[117] ولم يوضح المؤرخ ابن العديم سبب وفاة محمود؛ الذي لم يحل عليه الحول في المعتقل الصليبي، وهل كانت وفاة طبيعية؟ أم كانت بسبب ظروف الاعتقال القاسية؟ ويشير المؤرخ ألبرت اكس إلى أن جودفري أرسل جثة الصبي إلى والده متأسفًا ومعتذرًا" بأن ليس له ذنب في هذا الموت"[118] ويُحتمل أن بنية الطفل الجسدية والنفسية لم تؤهله لتحمل مشقة الفُرقة والغُربة، والوحشة في السجون والمعتقلات التي كانت في غاية السوء في ذلك العصر.

وطُويت صفحات حياة بعض الرهائن بالقتل؛ ففي عام 586هـ/1190م تفنن الإمبراطور الألماني فردريرك بربروسا في قتل رهائن سلاجقة الروم، وذلك "في أماكن متفرقة؛ فكان كلما نزل منزلاً قتل بعضًا منهم"[119] بحجة نقضهم لاتفاقهم معه على توفير مناخ ملائم لمرور آمن لجيوشه الصليبية في الأراضي السلجوقية بآسيا الصغرى، وقتل قلب الأسد الكثير من رهائن عكا بذريعة تنصل صلاح الدين عن الوفاء بشروط معاهدة استسلام المدينة للصليبيين في عام 587هـ/1191م[120].

ويلاحظ أن قتل الرهائن صفة ارتبطت بالغزاة الفرنجة، وهو الأمر الذي يعكس الطابع الدموي لقادة الحروب الصليبية، ومع ذلك لم يسع المسلمون للانتقام من الفرنجة الأبرياء؛ فالتعاليم الإسلامية تلزم المسلمين بالحفاظ على حياة رهائن الأعداء، حتى لو نقض الأعداء مواثيقهم، وقتلوا رهائن المسلمين، فرهائن الأعداء لا يقتلون بِجريرة غيرهم[121] وتنص القاعدة الفقهية على أن" وَفَاءٌ بِغَدْرٍ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ بِغَدْرٍ "[122].

الجهود الرسمية والشعبية لتحرير الرهائن:

بُذلت جهود رسمية وشعبية لتحرير الرهائن، فتنوعت الجهود الرسمية بين جهود عسكرية، ومساعي دبلوماسية؛ فالقوة العسكرية الصليبية التي حاصرت سميساط عام 491هـ/ 1098م أرعبت حاكمها بلدوك التركي، ودفعته لبيع المدينة لبلدوين البويوني حاكم الرها، وتحرير كافة الرهائن الرهاويين المحتجزين هناك[123]

وإذا كان الحصار والتلويح باستخدام القوة قد نجح في استنقاذ رهائن الرها، فإن الجهود العسكرية لملك بيت المقدس بلدوين الثاني وحصاره لمدينة حلب عام 518هـ / 1124م فشلت في إرغام حاكمها حسام الدين تمرتاش على إطلاق الرهائن الفرنجة دون فداء[124]

والأمر المثير للانتباه هو الجهود التي بذلها حكام الدويلات العربية الجزرية والشامية لإطلاق سراح الأسرى والرهائن الفرنجة؛ فلم يجد الفرنجة وجاولي التركي حاكم الموصل أفضل من قلعة جعبر وحاكمها العربي سالم بن

مالك العقيلي للعب دور الوساطة وإبرام صفقة لإطلاق سراح أمير الرها الأسير بلدوين دي بورج مقابل قيام جوسلين دي كورتناي حاكم تل باشر برهن نفسه عوضاً عنه في عام 502هـ/1109م[125]

ولم ينقذ بلدوين دي بورج الذي أصبح ملكًا لبيت المقدس من حبائل الأسر الذي وقع فيه للمرة الثانية عام 517هـ/ 1123م سوى الحاكم العربي لمدينة شيزر سلطان بن منقذ (492-549هـ / 1099 – 1154م)) الذي وظف علاقته الطيبة بالقوى الإسلامية والصليبية لبلورة صفقة تم بموجبها إطلاق سراح الملك بلدوين من سجن حاكم حلب حسام الدين تمرتاش، بضمانة بنو منقذ الذين قدموا رهائن من أسرتهم لتمرتاش، في الوقت الذي سلم فيه الفرنجة مجموعة من رهائنهم لبني منقذ في عام 518هـ/1124م[126] وبذل بنو منقذ جهودًا مضنية لإعادة رهائنهم، ورهائن الفرنج إلى ذويهم وأهاليهم.

ولم تنته المخاطر التي يتعرض لها الرهائن بمجرد إطلاق سراحهم؛ فقد تعرض البعض منهم للكمائن أثناء عودتهم إلى بلادهم، وهذا ما حدث لرهائن الفرنجة في شيزر، فلم يكتف بنو منقذ بإطلاق سراح الرهائن الفرنج؛ بل استنقذوهم من كمين نصبه لهم خيرخان بن قراجا صاحب حمص، وأوصلوهم إلى مأمنهم، ويعجب أسامه بن منقذ من حرص والده وعمه على سلامة الرهائن الفرنجة؛ إذ وجها فرسان شيزر بتدارك ركب الرهائن الأسرى قائلين لهم: "ارموا أنفسكم عليهم، واستخلصوا رهائنكم"[127].

هذا الأمر ينسجم مع التعاليم الإسلامية التي توجب على المسلمين ضمان سلامة الأسرى والرهائن طوال فترة احتجازهم، ولا تخلى ذمة المسلمين إلا بعد إيصال الرهائن الرجال إلى مأمنهم، وتسليم النساء والأطفال الرهائن إلى أهاليهم[128].

ويُمكن فهم مسارعة الحكام العرب في التوسط لإطلاق سراح الأسرى والرهائن الصليبيين بوصفه مؤشراً على هامشية الدور العربي زمن الحروب الصليبية وسط القوى التركية والصليبية المؤثرة، والمتحكمة بمقاليد الأمور في المنطقة؛ إذ سعى حكام الدويلات العربية لكسب ود تلك القوى، والفوز بصداقتها.

وتظافرت الجهود الشعبية مع الجهود الرسمية لإعادة الرهائن إلى ديارهم؛ فتحت موجة ضغط المجتمع الرهاوي، تحرك الأمير الصليبي بلدوين البويوني عام 491هـ/ 1098م لاستخلاص رهائن الرها المحتجزين في مدينة سميساط[129].

وإذا كان أهالي الرها قد أسهموا بشكل غير مباشر في استِعادة رهائنهم، فإن أناسًا من أهالي تل باشر وضعوا أنفسهم كرهائن عوضًا عن حاكمهم جوسلين الرهينة لدى المسلمين[130] فالدور المجتمعي في حل قضية الرهائن كان دورًا أساسيًاأحيانًا، ومسانداً للجهد السلطوي في محطات أخرى.

وتحمَّل أهالي الرهائن وأقاربهم العبء الأكبر لاستنقاذ ذويهم من الرهن، وأسهم الأصدقاء في جمع المبالغ المطلوبة للفداء، فلم يتمكن الملك بلدوين الثاني من شراء حرية ابنته الرهينة ورفاقها إلا من حصيلة الغنائم، ومما "جادت به أيدي أصدقائه، وأتباعه المخلصين"[131].

وإذا كانت بعض القوى قد أبدت احتفاءً بالغًا بمسألة الرهائن، فإن قوى أخرى أظهرت لا مبالاة لافتة؛ فدفع بعض الرهائن حياتهم أو حريتهم ثمنًا لذلك الاستخفاف أو المماطلة في تسوية هذه القضية المصيرية، في حين عُرِّضت حياة رهائن آخرين لمخاطر جمة.

فلم يتورع بعض القادة الفرنج والمسلمين عن نقض عهودهم ومواثيقهم معرضين حياة رهائنهم للخطر؛ فجودفري حاكم بيت المقدس خان عهوده مع مسلمي

أرسوف، وشدد حصاره على مدينتهم بغية إسقاطها، مضحيا بصديقه جيرار أوف أفيسن الرهينة لدى المسلمين الذي أخذ يصرخ وهو يتدلى من أعلى أسوار المدينة متوسلاً إلى رفيقه أن يرحمه، وينقذ حياته؛ لكن جودفري رد عليه بخِفة وغِلظة قائلاً له بأنه لا يستطيع مساعدته، ولا يُمكنه التراجع عن الهجوم حتى ولو كان أخوه معلقًّا في موضعه، وعليه مواجهة الموت بشجاعة، فتناوشته سهام رفاقه الفرنج دون أن ترديه قتيلاً [132].

ولم يتردد خلف بن ملاعب حاكم أفامية في التنصل من طاعة الفاطميين؛ فحين هدد الفاطميون بقتل ولده الرهينه لديهم، رد باستخفاف وصلف قائلاً لهم: "ابعثوا إليّ ببعض أعضاء ولدي حتى آكله"[133] ونكث الملك بلدوين الثاني عهوده مع مسلمي حلب معرضًا حياة رهائنه لديهم للخطر[134].

وكاد جيرار أن يذهب ضحية لغدر جودفري وغطرسته، في حين لم يؤاخذ الفاطميون ابن خلف ابن ملاعب بتصرفات والده المتهورة، وغير المسؤولة. وحافظ مسلمو شمال الشام على أرواح رهائن بلدوين، فمن حسن حظ أولئك الرهائن أنهم كانوا في أيدي عاقلة وأمينة. ويبدو أن الملك بلدوين كان مطمئنًا على حياة رهائنه المحتجزين لدى الوسطاء من بني منقذ، كما أن أولئك الرهائن كانوا من الأطفال الأبرياء الذين يُستبعد ترويعهم، وإلحاق الضرر بهم، أوالمساس بحياتهم.

والملاحظ أن بعض القوى الصليبية لم تُبد احتفاءً كبيرًا برهائنها، في حين تعاملت بعنف وقسوة مع الرهائن المسلمين؛ فالإمبراطور الألماني فردريك بربروسا قتل رهائن سلاجقة الروم متهمًا حكامهم بخرق العهود والمواثيق، وعدم المبالاة بمصير رهائنهم[135] ومع أن قتل الرهائن عمل وحشي بكل المقاييس، فيبدو أن كلام الإمبراطور الألماني لم يكن بعيدًا عن الحقيقة في ضوء حديث ابن الأثير عن كراهية سلطان سلاجقة الروم لكبار رجال دولته وتخوفه منهم[136] ويبدو أنه كان لديه نية مبيتة للتخلص منهم تحت ستار الرهن، فتعامل مع قضيتهم بخفة، وعدم مسؤولية؛ ليتم ذبحهم بسيوف الأعداء بدلاً من تلويث سلاحه بدمائهم مع ما قد يترتب على ذلك من تداعيات سلبية على سلطته.

وذبح قلب الأسد رهائن عكا بصورة جماعية وهمجية متعللاً بتراخي صلاح الدين عن الوفاء بشروط استسلام مدينة عكا[137] وتُحمّل الكتابات الصليبية صلاح الدين مسؤولية إراقة دماء أولئك الرهائن متهمة أياه بأنه لم يعبأ بحياتهم[138] لكن المصادر الصليبية تناقض نفسها عندما تُشير إلى أن الهدف من ذبح الرهائن المسلمين هو " القضاء على عنجهيتهم ... وسحق شريعتهم والثأر لمن هلك من المسيحيين"[139] ولا يستبعد ابن شداد فرضية الثأر، لكنه يضيف سببًا آخر؛ وهو تخوف ريتشارد من الزحف على المدن الإسلامية مع بقاء هذا العدد الكبير من الرهائن داخل مدينة عكا[140] وهو ما يؤكده أبن شداد إذ يشير إلى فرضية الاحتياطات الأمنية التي ربما قد تكون دفعت ريتشارد للتخلص من الرهائن، والاحتراز من خطرهم المحتمل.

وتركز المصادر الإسلامية على مخاوف صلاح الدين من تنفيذ التزامات الطرف الإسلامي لبنود تفاهمات استسلام مدينة عكا، وخشيته من غدر الفرنجة، مع عدم وجود ضمانات كافية لوفائهم بتعهداتهم بإطلاق الرهائن بعد تحقيق مطالبهم[141] فصلاح الدين كان يرغب بضمانات لتنفيذ متزامن ومتبادل لاتفاقية عكا، في حين أصر الجانب الصليبي على بدء المسلمين بتنفيذ تعهداتهم.

حاولت بعض الكتابات المسيحية القديمة والحديثة التخفيف من جريمة ريشارد عبر تحميل صلاح الدين جزءاً من مسؤولية النهاية المأساوية لرهائن عكا، والحق أن

ريتشارد بصلفه وغطرسته وتهوره يتحمل الجزء الأكبر من تلك المسؤولية، علاوة على انعدام الثقة المتبادلة بين الطرفين، وتعثر المفاوضات، وطول أمدها، والشحن الديني الصليبي الأعمى، وعدم وجود آلية تنفيذية مُزمنة ومتوازنة لتطبيق بنود اتفاقية عكا.

نتائج احتجاز الرهائن وتداعياتها: -

كان لاحتجاز الرهائن زمن الحروب الصليبية آثار وتداعيات على جميع الأصعدة السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، والنفسية والثقافية والعقائدية، وعلى مستوى الأفراد والمجتمعات والدول؛ قريبة وبعيدة المدى، مباشرة وغير مباشرة.

النتائج السياسية والعسكرية: أسهمت قضية الرهائن في إشعال الحروب أحيانًا، وأسهمت في أحيان أخر في إخمادها؛ فكثيرًا ما تم تسليم المدن، وانسحاب المقاتلين وفقًا لترتيبات أمنية تضمنت تقديم رهائن لضمان الوفاء بالالتزامات المتبادلة، وكان لظاهرة الرهائن آثار وتداعيات سياسية وعسكرية؛ فحوصرت بعض المدن، ونُسجت تحالفات سياسية وعسكرية جديدة.

ولا شك في أن القادة المسلمين والصليبيين كانوا يدركون الأبعاد السياسية لظاهرة الرهائن، وإمكانية توظيفها لأهداف دعائية، وهو ما يفسر الجهود المضنية التي بذلتها القيادات السياسية والعسكرية لإطلاق سراح الرهائن بكل الوسائل المتاحة، فنشطت الاتصالات الدبلوماسية المكثفة بالتوازي مع المناورات الحربية، والمواجهات العسكرية المباشرة.

فالأمير بلدوين البويوني الذي انتزع حكم الرها من الأمير ثوروس الأرمني عام 491هـ /1098م حرص على التقرب لأهالي الرها "واكتساب ودهم"[142] والفوز بثقتهم، بهدف التمكين لنفسه، وكسب مساندة شعبية تمنحه شرعية تبرر اغتصابه للحكم، فزحف بجموع من الأرمن والفرنجة لحصار مدينة سميساط، ونجح في استعادة رهائن الرها المحتجزين بأيدي الترك "مما زاد في هيبته في العيون زيادة كبيرة"[143] وهذه الواقعة تبين بوضوح التوظيف السياسي لظاهرة الرهائن؛ فالنجاح في تحرير الرهائن حظي بقبول شعبي، وتقدير عالٍ لدى الأوساط الشعبية، ورفع من مكانة القادة سياسيًا ودعائيًا ومعنويًا.

واستخدمت ورقة الرهائن في اللعبة السياسية؛ لتصفية الحسابات، والتخلص من الخصوم السياسيين المنافسين للحكام في السلطة والنفوذ، ويبرز هذا الأمر بوضوح بتقديم قلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم مجموعة من قادة دولته المكروهين كرهائن للأمبراطور الألماني فردريك باربروسا خلال الحملة الصليبية الثالثة[144] بقصد التخلص منهم بأيدي الأعداء، والقضاء على مطامحهم ومطامعهم السلطوية.

وأسهم احتجاز الرهائن إسهامًا فعالاً في فرض سيطرة وسيادة الحكام على رعاياهم وولاتهم وضمان الولاء لهم، فمما لا شك فيه أن احتجاز رهائن الأهالي أسهم إلى حد كبير في فرض نوع من السلام القسري، وكبح جماح التمردات، وقلَّل من نشوب الاضطرابات والفتن والقلاقل، وعزَّز من هيبة السلطات الحاكمة، وحقق نوعًا من الاستقرار النسبي.

فاحتجاز الرهائن أسهم في إذعان الرعايا لحكامهم، والولاة لأمرائهم وملوكهم، وتَحلّلَ الرعايا من طاعة سادتهم، والولاة من الامتثال لقادتهم بمجرد تفلت الرهائن من معتقلاتهم؛ فقد خلع والي مدينة الرحبة محمد بن السباق الشيباني "طاعة الدمشقي"[145] بمجرد نجاح عملية تهريب ولده الرهينة من محبسه الدمشقي، ولا شك في أن هروب الرهائن تسبب في زعزعة الثقة بين الحكام ومساعديهم، وأركان دولتهم الذين حامت الشكوك حول تواطئهم، أو تورطهم في تفلت الرهائن من محابسهم.

ولا يستبعد قيام الرهائن الذين تمتعوا بهامش من الحركة والحرية النسبية في أماكن اعتقالهم بدور جاسوسي لصالح بني جلدتهم، خصوصاً وأن الرهائن ذوي المكانة العالية عاشوا في قصور الأمراء والملوك، مما مكنهم من نسج علاقات مع القوى المؤثرة وصناع القرار، كما لايستبعد قيام الجهات المحتجزة للرهائن بالتحقيق معهم، وجمع واستخلاص المعلومات الاستخباراتية منهم.

ولا ريب في أن قضية الرهائن نشطت الاتصالات الدبلوماسية بين القوى الإسلامية والصليبية؛ فالوفود المفاوضة، والسفارات الدبلوماسية كانت غادية رائحة للتفاوض بشأن الرهائن، وشروط إطلاق سراحهم، وآليات تنفيذ ذلك، والجهات والوسائل الضامنة لتنفيذ الاتفاقات والمعاهدات، وكل تلك القضايا احتاجت لبراعة تفاوضية، وحنكة سياسية لإنجازها بأقل الخسائر، وبأفضل الشروط.

واللافت للنظر أن الرهائن الذين كانوا نتاجًا لانعدام الثقة بين القوى المتحاربة أسهموا في نوع من التقارب السياسي، وبناء جسور الثقة بين تلك القوى، فتوثقت الصلات بين الرهناء والمسترهنين، أو بين الرهائن أنفسهم ومسترهنيهم، مما أدى لولادة تفاهمات وتحالفات خرجت من رحم السجون والمعتقلات.

فوثق الأمير الصليبي جوسلين علاقته بجاولي حاكم الموصل أثناء فترة الرهن[146] وأدت الحسابات السياسية، والفوائد والمصالح المتبادلة والمتوقعة إلى بناء نواة لتحالف صليبي إسلامي استهدف القوى المناوئة للطرفين، بعيدًا عن الروابط الدينية والعرقية.

وكما أن تسليم أو تبادل الرهائن خفف من العداء بين القوى المتصارعة، وأسهم في صنع السلام، وسمح بحل الخلافات بطرائق دبلوماسية، مما أدى إلى تفادي المواجهات والحروب، وتسوية المنازعات بطرائق سلمية في بعض الأحيان؛ فقد أسهمت قضية الرهائن بأبعادها المختلفة في اشتعال سلسلة من الحروب والمنازعات بين القوى الإسلامية والصليبية في أحيان أخر.

إذ حاصر الملك بلدوين الثاني مدينة حلب لإجبار حكامها على إعادة الرهائن الفرنجة بدون فدية مالية[147] واستغل الفرنجة تشظي الدولة النورية بعد وفاة نور الدين محمود، فهاجموا مدينة حمص لإطلاق سراح الرهائن الفرنجة المحتجزين في قلعتها[148] وقد هدفوا في كلا الحالتين الضغط على القوى الإسلامية، وإرغامها على إطلاق الرهائن الفرنجة دون أن تتحمل الخزانة الصليبية أي تكاليف مالية.

وأدى تعريض حياة الرهائن للخطر أو قتلهم إلى تداعيات عسكرية؛ فهاجم جوسلين أمير الرها مدينة حمص عام 519هـ/1125م؛ لمعاقبة أهلها الذين نصبوا كمينًا للرهائن الفرنجة المُطلق سراحهم من قلعة شيزر، وحاولوا اختطافهم وأسرهم[149] ودارت رحى الحرب بين المسلمين والفرنجة بعد قتل الفرنجة لرهائن عكا خلال وقائع الحملة الصليبية الثالثة[150] ويتبين بوضوح من خلال السطور السابقة دور قضية الرهائن في إشعال الحروب، وزيادة وتيرتها، وحصار المدن، واستنزاف الكثير من الطاقات الحربية، وتزايد حدة المواجهات العسكرية بين القوى الإسلامية والصليبية.

النتائج الاقتصادية والاجتماعية والنفسية: ارتبطت قضية الرهائن بالجوانب الاقتصادية إلى حد بعيد؛ فاحتجاز الرهائن، وحل الخلافات والمنازعات بين الفرقاء بطرائق غير حربية خفف إلى حد بعيد من فاتورة الحرب الباهظة، لكن يتطلب تحرير الرهائن أموالاً باهظة أثقلت في نهاية المطاف عامة الناس أكثر من خاصتهم؛ فعادةً ما لجأ الملوك والأمراء إلى فرض ضرائب على العامة للوفاء بالتزاماتهم المالية لفداء الرهائن.

ومع أن فرار الرهائن خفَّف من الأعباء الاقتصادية على أهالي الرهائن ؛ فإنه في الوقت نفسه كبَّد الجهات المحتجزة للرهائن خسائر مادية كبيرة أنفقتها على إعاشة الرهائن وإيوائهم وحراستهم.

والجدير بالملاحظة هو أن بعض الجهات المسترهنة انتقت رهائنها من الحرفيين، ومهرة الصناع[151] ولا شك في أن ذلك الاختيار لم يكن اعتباطًا، بل تم بناءً على تخطيط مسبق، ورغبة واضحة، للاستفادة من حرفهم وخبراتهم، وتدوير عجلة الاقتصاد في بلدانها من جهة، ولتغطية نفقات احتجازهم من جهة أخرى، واستفادت بعض الدول من الرهائن بوصفهم عمالة مجانية في الأعمال الشاقة والحقيرة[152] بدلاً من تحمل تكاليف مادية كبيرة لتوفير عمالة بديلة.

وكان لاحتجاز الرهائن تداعيات اجتماعية ونفسية سلبية للغاية على الرهائن وذويهم ؛ فالرهائن عانوا من "القلق على مستقبل غير مؤكد"[153] وعاش أهالي الرهائن حياة منغصة ومكدَّرة، وفي حالة رعب وتوتر مستمر، خوفًا على مصير أقاربهم ؛ فالملك بلدوين الثاني عاد إلى أنطاكية "مشغول الخاطر"[154] على طفلته الرهينة ورفاقها. كما أن النهاية الأليمة لحياة الرهائن تركت آثاراً عميقة، وجروحًا غائرة لدى قرابتهم وأحبتهم ؛ فقد غشي المسلمين "حزن عظيم، وكآبة شديدة"[155] لذبح الفرنجة رهائن عكا.

ولا شك في أن إقحام الأطفال كرهائن، وزجهم في المعتقلات، وحرمانهم من الدفء الأسري، والإشباع العاطفي، ومعاناتهم من الخوف والرعب والقلق، وافتقادهم للأمن والأمان والاطمئنان ؛ أدى إلى شروخ نفسية عميقة، وانعكاسات اجتماعية وصحية خطيرة عليهم.

ومن المعلوم أن الأميرة الصليبية الصغيرة جوفيتا قضت حوالي سنة رهينة بأيدي المسلمين، وانخرطت منذ شبابها في سلك الرهبانية النسوية[156] ولا يُعرف على وجه اليقين ما إذا كانت فترة الرهن قد أثرت في نفسيها، وجعلتها تميل إلى الانطواء والعزلة.

ومن النتائج الاجتماعية الإيجابية التي ترتبت على احتجاز الرهائن، نمو نوع من الصداقة والعلاقات الإنسانية الودية بين المتحاربين، وشعور الأطراف المتصارعة بأن أعداءهم المختلفين عنهم دينيًّا ومذهبيًّا ليسوا كتلة واحدة من النقائص والمعايب ؛ بل يمتلكون العديد من المزايا والإيجابيات، فقد أعجب الأمير المسلم جاولي بشجاعة وفروسيته القائد الصليبي جوسلين وتضحيته بحريته من أجل سيده بلدوين[157] وقدر عاليًا ذلك السلوك النبيل، واعتبر أن ذلك العدو جديرًا بثقته وصداقته.

ومن النتائج الاجتماعية المؤلمة ؛ فقدان بعض الرهائن لحرياتهم، وانزلاقهم إلى عوالم الرق والعبودية البغيضة، وما ترتب على ذلك من تفكك أسرهم، وفقدانهم لأطفالهم وأحبابهم وأهاليهم.

وكما سادت مشاعر الحزن والكآبة عند فقدان الرهائن لحياتهم أو حريتهم، فقد عمت الأفراح عند استعادة الرهائن لحريتهم، ويصف المؤرخ الصليبي جوانفيل كيف انقلبت مشاعر الحزن والأسى لدى صليبي الحملة السابعة إلى بهجة وأفراح بعد إفراج المسلمين عن الرهينة ألفونسو كونت بواتييه شقيق الملك لويس التاسع ؛ إذ عم المعسكر الصليبي سرور لم يُر أعظم منه[158] وغمرت السعادة زوجة الكونت التي أمرت بمكافأة سخية لصياد فقير بشرها بإطلاق سراح زوجها[159] ومن المتوقع أنه كان يتم استقبال الرهائن المطلق سراحهم بحفاوة بالغة، وتُقام لهم الاحتفالات من قبل أهاليهم وأحبابهم وأصدقائهم بمناسبة عودتهم إلى ديارهم.

ومن المتوقع أن الرهائن الذين مكثوا شهورًا وسنوات في قصور الأعداء وحصونهم قد نقلوا عادات وتقاليد جديدة إلى مواطنهم الأصلية، ومن المحتمل كذلك أن بعض الرهائن تعلموا لغات الأعداء، وتأثروا بثقافتهم وآدابهم وفنونهم وعلومهم، بالرغم من أن المصادر لم تسعفنا بمعلومات وتفاصيل تساعد على توضيح المؤثرات والتأثيرات الحضارية للرهائن، ولعل ما كان يمارسه الصليبيون من عادات المسلمين واستخدام ادواتهم الحضارية التي لم تكن موجودة في بلاد الصليبيين، لعل ذلك دليل على وجود هذا التأثير.

النتائج الدينية: لم تتطرق المصادر إلى وجود حالات من التحولات الدينية والمذهبية في أوساط الرهائن، ويبدو أن ذلك راجع لقصر الفترة التي قضاها الرهائن في قبضة المخالفين لهم دينيًّا ومذهبيًّا، كما أن أولئك الرهائن ينتمون في الغالب إلى الفئات العليا التي لم تتعرض لضغوط اقتصادية أو اجتماعية كبيرة تدفعهم للتحول الديني أو المذهبي.

ومن المحتمل أن فترة احتجاز الرهائن سمحت بنوع من التواصل الودي والإنساني بين الرهائن ومرتهنيهم، مما أدى إلى كسر حواجز العداء الديني، وسمح بنوع من التعايش العقائدي، لكن هذا التسامح كثيرًا ما كدرته التصرفات الدموية المجنونة للقادة الصليبيين.

ويعكس نقض الملك بلدوين الثاني لتفاهماته مع المسلمين[160] ضعف جانب الالتزام الديني والأخلاقي والاجتماعي لدى الفرنج؛ فالملك بلدوين نقض اتفاقه مع المسلمين بتحريض ومباركة رجال الدين المسيحي[161] ويبدو أن تلك الشراذم الصليبية المتباينة المنابت والأصول لم تشعر بدرجة كافية من التضامن والتكافل الديني، والترابط الاجتماعي؛ إذ فضل فرنج أنطاكية بقاء رهائن الملك بلدوين في المعتقلات على أن يتنازلوا عن بعض الحصون الحدودية للمسلمين.

وتجدر الملاحظة إلى أن جميع الرهائن كانوا من المسلمين والمسيحيين، ولم تشر المصادر إلى رهينة واحدة من اليهود، وهو ما يعكس هامشية الدور اليهودي زمن الحروب الصليبية، فالصراع بالأساس كان إسلاميًّا صليبيًّا.

نتائج البحث وتوصياته: -

- كانت ظاهرة الرهائن موجودة قبل قدوم الفرنجة إلى المشرق الإسلامي؛ لكن الاحتلال الصليبي وسّع من هذه الظاهرة، بسب كثرة الحروب التي أشعلها الغزاة، ونتيجة لجلب أعراف وتقاليد جديدة من أوربا.
- مع أن دوافع احتجاز الرهائن كانت متنوعة؛ لكن الدوافع السياسية والاقتصادية كانت طاغية إلى حد كبير.
- استخدمت ورقة الرهائن ضمن قواعد التدافع السياسي والعسكري بين الممالك المتنافسة والمتنازعة، كما وظفت هذه الورقة في العلاقات الداخلية بين الملوك وأتباعهم ورعاياهم.
- كانت الدولة هي التي مارست نظام احتجاز الرهائن زمن الحروب الصليبية، ولم يُستخدم عادةً من قبل العصابات والجماعات المسلحة كما هو الوضع في الوقت الراهن، وغالبًا ما استخدمت ورقة الرهائن لضمان الوفاء بالالتزامات، وليس بهدف المساومات والابتزازات كما هو الحال في عالم اليوم.
- ثبات الرهائن على دينهم؛ فلم تشر المصادر الإسلامية والصليبية لأي تحولات دينية في أوساطهم، فبصورة عامة تشبث الرهائن بدينهم، وتمسكوا بمعتقداتهم ومذاهبهم.
- فرضت ظاهرة الرهائن قيام نوع من العلاقات الدبلوماسية بين الجانبين الإسلامي والصليبي؛ لتنظيم احتجاز الرهائن ومعاملتهم، ووضع آليات لإطلاق سراحهم.
- طالت ظاهرة الرهائن أناسًا غير معنيين بالصراع من

المدنيين العزل كالأطفال والنساء والمسنين، والصُناع والحرفيين.

- أسهم قيام الحكومات ببذل جهود كبيرة لتحرير الرهائن في ارتفاع مكانتها، وزرع نوع من الثقة بين تلك الحكومات ورعاياها. ولا شك في أن إخفاق الدول في تحرير الرهائن شوّه صورة السلطات الحاكمة، وهزّ ثقة الناس بها.

- الرفق بالرهائن، ومعاملتهم باحترام وكرامة دليل على النبل الإنساني، والرقي الحضاري، والسمو الروحي، وقد فاق المسلمون خصومهم الفرنجة في هذا المضمار.

- وضعت الدول في عصر الحروب الصليبية مسألة تحرير الرهائن في مقدمة سلّم أولوياتها، وبذل المسلمون والفرنجة جهودًا كبيرة لتحرير رهائنهم على جميع المستويات المجتمعية والرسمية، وبجميع الوسائل السلمية والحربية.

- حقق احتجاز الرهائن بعض الإيجابيات؛ كتعزيز هيبة الدول، والإسهام في إحلال نوع من السلام؛ لكن هذه الإيجابيات قليلة مقارنة بالآثار السلبية على مستوى الأفراد والأسر والمجتمعات.

- اتضح من خلال الدراسة أنه لم تكن هناك قوانين وقواعد محددة ومنظمة لاحتجاز الرهائن ومعاملتهم وتحريرهم، وإن كانوا في الغالب يعاملون معاملة الأسرى، ولكن بقدر كبير من المرونة.

- لم تتم معاملة الرهائن على نمط واحد؛ فأحيانًا كان يتم التعامل مع الرهائن بأقصى حد من اللين واللطف والرفق، وفي أحيان أخر كان يتم التعامل معهم في غاية الشدة والقسوة، وغالبًا ما تمت هذه المعاملة بناء على معايير المكانة الاجتماعية، والوضع الاقتصادي، والخبرات المهنية.

- توثقت العلاقة أحيانًا بين الرهائن ومحتجزيهم، وتطورت تلك العلاقة إلى نوع من التحالفات السياسية والعسكرية متجاهلة الاعتبارات العقائدية والعرقية والحضارية.

- لم يُعرف عن المسلمين قتلهم للرهائن زمن الحروب الصليبية، خلافًا للقوى الصليبية التي طالما استحلت دماء الرهائن المسلمين بمبررات واهية، وذرائع ركيكة، وهو ما يعكس الطابع الدموي للشخصية الصليبية.

الهوامش:

(1) الشرق الأدنى مصطلح يستخدمه المؤرخون والجغرافيون غالبًا للإشارة إلى مصر والشام وبلاد الرافدين وفارس وبلاد الأناضول(تركيا الحالية)، عن ذلك، انظر: عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، جـ1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م، ص 5؛ أحمد ارحيم هبو: تاريخ الشرق القديم (سورية)، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1993م، ص 3، وستقتصر هذه الدراسة على البلاد التي كانت ميدانًا للحملات الصليبية، والوقائع التاريخية التي تتناول ظاهرة الرهائن المرتبطة بشكل أو بآخر بالحروب الصليبية.

(2) ابن منظور (ت: 711 هـ /1311م): محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، جـ4، ص19؛ الرازي (ت: 721هـ/1321 م): محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاط، مكتبة لبنان، بيروت، 1950، جـ1، ص7؛ مروج حسن عسيلة: جهود المسلمين في تحرير أسراهم 1 - 692هـ/621 – 1292م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، 2010م، ص2.

(3) ابن منظور: لسان العرب، جـ13، ص190؛ الرازي: مختار الصحاح، جـ1، ص109؛ الزمخشري (محمود بن عمر ، ت: 538هـ / 1143م): الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2، (د.ت)، جـ2، ص94.

(4) عبد اللطيف عامر: أحكام الأسرى السبايا في الحروب الإسلامية، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، 1986م، ص80.

(5) منصور بن مقعد: احتجاز الرهائن وعقوبته (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة نائف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2006م، ص31، 36.

(6) انظر:

El- Azhari T.K.: The Salguqs of Syria, Berlin, 1997, p.255.

(7) ريموندجيل (ت: ق 6هـ/12م): تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلي الإنجليزية: جون هيوم هيل ولوريتال هيل، نقله إلي العربية: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م، ص155.

(8) أرسوف: بلدة فلسطينية تقع بين يافا وقيسارية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، انظر: الحموي (ت: 626هـ/1228م): ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (د.ت) ، جـ1، ص151.

(9) ستيفن رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1994م، جـ1، ص462.

(10) ابن الأثير (ت: 630هـ/ 1232م): عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ط 6، 1995م، جـ10، ص168 – 169.

(11) المصدر السابق، جـ10، ص380؛ أولفر أوف بادربون (ت: 624هـ/1227م): الاستيلاء على دمياط، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، جـ33، ص111؛ عبد اللطيف عبد الهادي السيد: الحروب الصليبية من خلال كتابات جاك دي فيتري، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2006م، ص183؛

Cleve, T. V: "The Fifth Crusade". In: A History of the Crusades, Vol. II, ed. by: Setton, London, 1969, p.415.
Kedar B.Z.: Crusade and Mission, New Gersey, 1984, p. 123.
Sterns I.: "The Teutonic Knights in the Crusader States," in: A History of the Crusades, Vol. I, Ed. By: Setton, London, 1985, P.360.

(12) محمد عبد الله المقدم: الجهود التبشيرية للكنيسة الكاثوليكية في عصر الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 1010م، ص206؛ ممدوح حسين علي حسين: الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري 668 – 792هـ/1270 – 1390م، دار عمار، عمان، 1998م، هامش رقم (3)، ص414، 485؛

Bishko C.J.: « The Spanish and Portuguese Reconquest, 1095-1492 », in: A History of the Crusades, Vol.III, ed. by: Setton, London, 1975, p.419.
Brodman J.W.: « The Rhetoric of Ransoming: A Contribution to the Debate over Crusading in Medieval Iberia, » in: Tolerance and Intolerance: Social Conflicts in the Age of the Crusades, ed. by: M. Gervers and J. M. Powell, Syracuse, 2001, p.48.

(13) سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، صفحه مشرقه في تاريخ الجهاد الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1986م، جـ1، ص151؛

(14) رانسيمان: الحملات الصليبية، جـ2، ص407.

(15) تورون (طورون) Toron: قلعة حصينة تقع في بلدة تبنين بين دمشق وصور، انظر: الحموي: معجم البلدان، جـ2، ص 14.

(16) وليم الصوري(ت: 581هـ/1185م): الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، جـ3، ص370؛ مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م، ص285.

(17) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة صلاح الدين وريتشارد، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م، جـ2، ص37.

(18) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص ص261 - 262.

(19) القلقشندي (ت: 821هـ/ 1418م): أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، 1987م، جـ14، ص72؛ علي السيد على: العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين، عين للدراسات، القاهرة، 1996م، ص19 – 20؛

P.m. Holt: Early Mamluk, Diplomacy 1260-1290 Treaties of Baybars and Qalawun with Christian Rulers, New York, 1995, p.70

(20) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ3، ص108؛

Baldwin M.W.: «The latin States under Baldwin III and Amaric I 1193 -1179», in: A History of the Crusades, Vol. I, ed. by: Setton, London, 1969, p. 556.

(21) جان دي جوانفيل (ت: 717هـ/1317م): القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، 1968م، ص145؛ رانسيمان: الحملات الصليبية، جـ3، ص325.

(22) سفر المكابيين الأول، 1: 11، 9: 53، 11 :62، 13: 16؛ الطبري (ت: 310هـ/922م): محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، 1984م، جـ4، ص201؛ جـ13، ص7؛ نظام الملك (ت: 485هـ/1092م): نظام الملك حسين الطوسي: سياست نامة أو سياسة الملوك، تحقيق: يوسف حسين بكار، دار الثقافة، الدوحة، ط2، 1986م، جـ1، ص142؛ ابن الجوزي (ت: 597هـ / 1200 م): عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، جـ 1 ، 10 ، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1992م، جـ1، ص406؛ باسيليوس: قصة الرها، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، جـ5، ص252؛

A.P. Evans: « The Albigensian Crusade », in: A History of the Crusades, Vol.II, ed. by: Setton, London, 1969, p.320.
M.H. Vicaire: Saint Dominic and his Times, Wisconsin, 1990), pp.164 - 165.
D. Jacoby: « Social Evolution in Latin Greece, » in: A History of the Crusades, Vol. VI, ed. by: Setton, London, 1989, p.202.

(23) الرحبة: تقع مدينة الرحبة على الضفة اليمنى من نهر الفرات داخل الأراضي السورية، وتسمى اليوم الميادين، انظر: الحموي: معجم البلدان، حـ 3 ، ص33؛ سهيل زكار: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، دار الفكر، دمشق، 1995م، حـ 1 ، ص72.

(24) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص106.

(25) أفامية: مدينه حصينة من سواحل الشام تقع حالياً في نطاق سوريا، وتُسمى قلعة المضيق. انظر: الحموي: معجم البلدان، حـ 1، ص227.

(26) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص94 – 95.

(27) المصدر السابق، جـ9، ص154؛ رانسيمان: الحملات، جـ2، ص161.

(28) رانسيمان: الحملات، جـ2، ص263.

(29) ابن العديم (ت: 660هـ/1261م): كمال الدين أبي القاسم عمر بن هبة الله الحلبي الحنفي: زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م ، ص254 ؛
El – Azhari: Saljuqs, p133.

(30) ابن العديم: زبدة الحلب، ص391.

(31) ميخائيل السوري الكبير(ت: 569هـ/1173م): روايات ميخائيل السوري الكبير، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، جـ5، ص144 ؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ص232 ؛ ابن العبري (ت: 685هـ/1286م): غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون: روايات ابن العبري، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، جـ5، ص362،
El – Azhari: Saljuqs, p.91.

(32) ألبرت فون آخن المعروف بـ (ألبرت أيكس) (ت: ق 6هـ/12م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 2007م، جـ51، ص 15.

(33) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص ص150 - 151 ؛ عاشور: الحركة الصليبية، جـ1، ص147 ؛ رانسيمان: الحملات، جـ1، ص249.

(34) مؤلف مجهول: حملة رتشارد إلى أراضي القدس المقدسة ، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، جـ31، ص95.

(35) رانسيمان: الحملات، جـ3، ص469.

(36) انظر: مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1994م، ص243.

(37) فيليب دي نوفار(ت: 624هـ/1226م): حروب فردريك الثاني ضد الإيبليين في سوريا وقبرص، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، جـ34، ص85 – 86 ؛ رانسيمان: الحملات، جـ3، ص230.

(38) رانسيمان: الحملات، جـ2، ص80.

(39) ابن شداد (ت: 632هـ/1224م): بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تمي: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994م، ص191.

(40) رانسيمان: الحملات، جـ3، ص46.

(41) مؤرخ مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه: حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958م، ص67 ؛
S. Runciman: « The first Crusade: Antioch to Ascalon », in: A History of the Crusades, Vol. I, Ed. By: Setton, London, 1969, p.317.
Lamp: Crusades, p. 150.

(42) ريموندجيل: تاريخ الفرنجة، ص181.

(43) بانياس: بلدة تقع في هضبة الجولان الحالية، وتبعد عن دمشق حوالي ستين كيلو متر مربع، وهى تختلف عن بانياس الساحلية لذلك تُسمى بانياس الداخلية. انظر:
الحموي: معجم البلدان، حـ 4، ص34.

(44) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ3، ص175 ؛
H.Gibb: « Zengi and the fall of Edessa», in: A History of the Crusades, Vol. I, ed. by: Setton, London, 1969, p.460.
El – Azhari: Saljuqs, 235.

(45) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص192 ؛ ابن الأثير: الكامل، جـ10، ص194 ؛ مؤلف مجهول: الحرب الصليبية الثالثة صلاح الدين وريتشارد، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م، جـ1، ص79 ؛ مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص166.

(46) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ3، ص370.

(47) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ2، ص37 ؛ ابن العبري، ضمن الموسوعة، جـ5، ص433 ؛ العمروسي: الحروب الصليبية، ص90 ؛
S. painter: «The Third Crusade: Richard the Lion Hearted and Philip Augustus», in: A History of the Crusades, Vol. II, ed. by: Selton, London, 1902, p.72.
Lamp H.: The Crusades the Flame of Islam, London, 1930, p.196.

(48) تل باشر: قلعة حصينة تقع شمال حلب، وتدخل الآن ضمن الأراضي التركية، انظر: الحموي: معجم البلدان، جـ2، ص 40.

(49) المؤرخ الرهاوي المجهول (ت: 545هـ/1150م): روايات المؤرخ الرهاوي المجهول، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، جـ5، ص33 ؛ ميخائيل السوري: الموسوعة، جـ5، ص101 ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ2، ص274 ؛ محمود سعيد عمران: القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين 493 – 531هـ / 1100 – 1137م، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م، ص33.

(50) حران: مدينه مشهوره في بلاد الجزيره تقع عند منبع نهر البليخ أحد روافد نهر الفرات إلى الجنوب من الرها، وتبعد عنها ثلاثه وعشرون ميلاً، وتقع حاليًا في جنوب شرق تركيا، انظر: الحموي: معجم البدان، حـ 2، ص235.

(51) عن معركة حران انظر: العظيمي (ت: 556هـ / 1161م): أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد: تاريخ العظيمي، تحقيق: علي سويلم، الجمعية التاريخية التركية، أنقره، 1988م، ص27 ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، حـ 2، ص247 – 251 ؛
Fink H.S.: «The Foundation of The Latin States 1099-1118», in: A History of the Crusades, Vol. I, ed. by: Setton, London, 1969, pp. 389 – 390.
Smail R.C.: Crusading Warfare 1097-1193, London, 1978, p. 68.
Lamp: Crusades, p. 294.
Oldenbourg Z.: The Crusades, Translated from the French, by Anne Carter, New York, 1967, pp. 232 – 233.

G. Tate: The Crusades and the Holy Land, London, 1991, p. 78.

(52) المؤرخ الرهاوي: روايات، ضمن الموسوعة، جـ5، ص33.

(53) ميخائيل السوري: الموسوعة، جـ5، ص101.

(54) عمران: القادة الصليبيون الأسرى، ص 35.

(55) المؤرخ الرهاوي: روايات، ضمن الموسوعة، جـ5، ص33 ؛ رانسيمان: الحملات الصليبية، جـ2، ص144.

(56) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص126.

(57) عن ذلك، انظر:

Richard J.: "The Political and Ecclesiastical Organization of the Crusader States." in: A History of the Crusades, Vol. V, ed. by: Setton, London, 1985, p.210.

(58) أرتاح: بلدة تقع غربي حلب ، انظر: الحموي: معجم البلدان، جـ1، ص140.

(59) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ4، ص190.

(60) ابن كثير (ت: 774هـ/1372م): عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي: البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، (د. ت)، جـ12، ص287.

(61) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ4، ص190 ؛ رانسيمان: الحملات الصليبية، جـ2، ص452..

(62) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ4، ص190.

(63) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ2، ص234 ؛

Henderson: Richard, p. 166.

(64) سميساط : مدينة واقعة على شاطىء نهر الفرات، وتدخل الآن ضمن الحدود التركية، انظر: الحموي: معجم البلدان، جـ3، ص 258.

(65) ألبرت اكس: الحملة الصليبية الأولى، ص 53 ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص261.

(66) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ2، ص32 ؛ رانسيمان: الحملات الصليبية، جـ1، ص330..

(67) ابن العديم: زبدة الحلب، ص243 ؛ ألبرت اكس: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ص 110 ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ2، ص22 ؛ عاشور: الحركة الصليبية، جـ1، ص221.

(68) فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلي بيت المقدس (الإستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة ودراسة وتعليق: قاسم عبده قاسم، دار الشروق، القاهرة، 2001م، ص290 ؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ص291 ؛

Nicholson R.A.: Joscelyn I Prince of Edessa, Press, 1954, p.77.
Oldenbourg: Crusades, p.304.
Fouler A.: The Epic Cycle of the Crusades." In A History of the Crusades. Vol. VI, ed. by: Setton, London, 1989, p 111.

(69) استعمل فرنج صقلية عمر بن أبي الحسين الفريابي حاكما على مدينة صفاقس – جنوب شرق مدينة تونس – ولضمان عدم تمرده على السيادة النورمانية، أخذوا والده العلامة أبو الحسين الفريابي رهينة لديهم، وقبيل مغادرته لبلاد إفريقية، أوصى أبو الحسين ولده عمر قائلاً له: يا بني " إنني كبير السن وقد قارب أجلي، فمتى أمكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فافعل، ولا تراقبهم، ولا تنظر في أنني أقتل" ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص403، ونفذ عمر وصية والده عام 551هـ /1156م مما دفع الفرنجة لصلب والده.

(70) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص150 ؛ رانسيمان: الحملات، جـ1، ص249.

(71) ألبرت اكس: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ص 54 ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ2، ص32 ؛ رانسيمان: الحملات الصليبية، جـ1، ص330.

(72) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ3، ص48 – 49 ؛

Friedman Y.: « Women in captivity and their ransom during the Crusader period, » in: Cross Cultural Convergences in the Crusader Period, ed. by: M.E. Goodich, New York, 1995, p. 82.
R.A. Nicholson: «The Growth of the Latin States 1118-1144», in: A History of the Crusades, Vol. I, ed. by: Setton, London, 1969, p. 425.
Oldenbourg: Crusades, p.304.
Alfred Fouler: The Epic Cycle of the Crusades.p 111.

(73) انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ3، ص201200 - ؛ رانسيمان: الحملات، جـ2، ص257 ؛

Nicholson: Growth, p 445.
Stevenson W.B.: The Crusaders in the East, Beirut, 1968, p.148.

(74) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ1، ص240 ؛ رانسيمان: الحملات الصليبية، جـ3، ص83.

(75) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ1، ص235.

(76) طلب جماعة من الأنصار سُلفة عينية من كعب بن الأشرف اليهودي، فاشترط عليهم أن يرهنوه نِسائهم، فأخبروه بأنهم لا يأمنوه على نسائهم، وعرضوا عليه رهن سلاحهم، انظر: الطبري: جامع البيان، جـ4، ص201.

(77) ابن الجوزي: المنتظم، جـ10، ص42.

(78) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص405.

(79) نفس المصدر.

(80) المؤرخ الرهاوي: روايات، ضمن الموسوعة، جـ5، ص33 ؛ ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص126.

(81) ابن العديم: زبدة الحلب، ص291 ؛

Nicholson: Growth 1, p.423.

(82) ابن الأثير: الكامل، جـ10، ص380 ؛ بادربون: دمياط، ضمن الموسوعة، جـ34، ص111 ؛ Cleve: The Fifth Crusade, p.415.

(83) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص192 ؛ ابن الأثير: الكامل، جـ10، ص194 ؛ مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص168.

(84) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ12، ص287.

(85) ابن شداد: النوادر ص263 ؛ مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ2، 52 ؛ محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب

في القرنيين 12 - 13 م / 6 – 7 هـ، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 1999/ 2000م، ص 236 ؛ P. Henderson: Richard Coeur de Lion: A Biography, London, 1959, p.126. Lev Y.: « Prisoners of War during the Fatimid-Ayyubid Wars with the Crusaders, » in: Tolerance and Intolerance: Social Conflicts in the Age of the Crusades, ed. by: M. Gervers and J. M. Powell, Syracuse, 2001, p. 24.

(86) مؤلف مجهول: رتشارد: ضمن الموسوعة الشامية، جـ31، ص88.

(87) مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص123.

(88) بادربون: دمياط، ضمن الموسوعة، جـ34، ص111 ؛ عبد اللطيف السيد: الحروب الصليبية، ص183.

(89) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص150 ؛ رانسيمان: الحملات، جـ1، ص249.

(90) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص126.

(91) رانسيمان: الحملات، جـ3، ص46.

(92) المؤرخ الرهاوي: روايات، ضمن الموسوعة، جـ5، ص74.

(93) ابن شداد: النوادر، ص263 ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ12، ص345 ؛ Artiya, H. M.: Knowledge of Arabic in the Crusader States in the twelfth and thirteenth Centuries, Journal of Medieval History, Vol 25, Number 3, September 1999 , p.204.

(94) انظر: ابن الأثير: الكامل، جـ10، ص194.

(95) أبو شامة (ت: 665هـ /1267م): شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي: الذيل على الروضتين، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، بيروت، ط 2، 1974م، ص129.

(96) فيليب دي نوفار: حروب فردريك، ضمن الموسوعة الشامية، جـ34، ص86.

(97) انظر: وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص263.

(98) عن السماح بزيارة الأسرى، انظر: أبو شامة: الروضتين، جـ1، ص301 ؛ ابن عبد الظاهر (ت: 692هـ/1292م): محيي الدين عبد الله بن رشيد الدين: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، (د. ن.)، الرياض، 1976م، ص347 ؛ علي السيد: العلاقات الاقتصادية، ص19 ؛ Pernoud R.: The Crusades, London, 1962, . p. 173. Kedar: Mission, p.153.

(99) رانسيمان: الحملات، جـ2، ص202.

(100) قلعة جعبر: هي قلعة تقع بين بالس والرقة في الضفة اليسرى لنهر الفرات، وكانت تسمى قديماً دوسر إلى أن استولى عليها جعبر بن مالك القشيري في القرن الخامس الهجري ومنحها اسمه، وتقع الآن في بلاد الجزيرة السورية على بعد 50كم^{2}عن مدينة الرقة، انظر: الحموي: معجم البلدان، جـ2، ص142 ؛ زكار: الموسوعة، جـ16، ص416.

(101) خرتبرت: يُسمى حصن زياد، ويقع في أقصى ديار بكر بين آمد وملطية، وتُسمى الآن مدينة خربوط، وتقع في شرق تركيا، انظر: الحموي: البلدان، جـ2، ص355.

(102) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص126 ؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ص254، 391 ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ4، ص190.

(103) ميخائيل السوري: الموسوعة، جـ5، ص101.

(104) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ2، ص234.

(105) رانسيمان: الحملات، جـ2، ص269.

(106) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ4، ص190 - 191.

(107) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ4، ص37 ؛ محمود سعيد عمران: القادة الصليبيون الأسرى، ص37.

(108) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص106.

(109) روايات، ضمن الموسوعة الشامية، جـ5، ص33.

(110) ميخائيل السوري: الموسوعة، جـ5، ص101.

(111) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ2، ص274.

(112) روايات، ضمن الموسوعة، جـ5، ص34.

(113) الشارتري: الحملة، ص276.

(114) بادربون: دمياط، جـ34، ص111.

(115) نظام الملك: سياست نامة، جـ1، ص142.

(116) مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص285.

(117) ابن العديم: زبدة الحلب ص244.

(118) ألبرت اكس: الحملة الصليبية الأولى، ص 122.

(119) مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص166.

(120) ابن شداد: النوادر، ص263 ؛ مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ2، ص52 ؛ محمد مؤنس: الحروب الصليبية، ص236 ؛ Lev: Prisoners, p. 24. Artiya: Painter: Third Crusade, p72. Lamp: Islam, p.196. Crusader, p.204.

(121) المقدسي (ت: 620هـ/ 1223م): عبد الله بن أحمد بن قدامة: المغني، دار الفكر، بيروت، 1985م، جـ9، ص6.

(122) الماوردي (ت: 450هـ / 1058م): أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري: الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد فهمي السرجاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت)، جـ1، ص54.

(123) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص264.

(124) الشارتري: الحملة، ص282 ؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ3، ص44.

(125) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص126.

(126) ابن منقذ(ت: 58هـ/1188م): مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيزري: الإعتبار، حرره: فيليب حتى، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1981م، ص103 ؛ ابن العديم: زبدة الحلب، ص291 - 292.

(127) ابن منقذ: الإعتبار، ص103.

(128) الماوردي: الأحكام السلطانية، جـ1، ص55.

(129) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص264.
(130) المؤرخ الرهاوي: روايات، ضمن الموسوعة، جـ5، ص33؛ ميخائيل السوري: الموسوعة، جـ5، ص101.
(131) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ3، ص48؛
A.Duggan: The story of the Crusades 1097-1291, (London, 1963), p.98
(132) ألبرت اكس: الحملة الصليبية الأولى، ص 165 ، 174؛ رانسيمان: الحملات، جـ1، ص462.
(133) ابن الأثير: الكامل، جـ9، ص95.
(134) الشارتري: الحملة، ص282؛ وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ3، ص44؛ رانسيمان: الحملات، جـ2، ص203.
(135) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ1، ص79؛ مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ص169.
(136) ابن الأثير: الكامل، جـ10، ص194.
(137) نصت شروط تسليم مدينة عكا على تقديم رهائن للفرنج مقابل السماح لسكان المدينة بالرحيل، مع التزام المسلمون بدفع فدية قدرها مائتي ألف دينار، وإعادة صليب النصارى المقدس، وإطلاق سراح ألف وستمائة من أسرى الصليبيين، عن ذلك، انظر: ابن شداد: النوادر السلطانية، ص257؛ مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ2، ص37، Oldenbourg: Crusades, pp.537 - 539.
(138) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ2، ص37؛
Lev: Prisoners, pp. 23 - 24.
(139) مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة، جـ2، ص52؛
Painter: Third Crusade, p72.
(140) النوادر السلطانية، ص263.
(141) ابن شداد: النوادر، ص261؛ ابن الأثير: الكامل، جـ10، ص217؛ ابن كثير: البداية والنهاية، جـ12، ص345؛
Henderson: Richard, pp. 165 - 166.
(142) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص263.
(143) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص264.
(144) ابن الأثير: الكامل، جـ10، ص194.
(145) المصدر السابق، جـ9، ص106.
(146) المؤرخ الرهاوي: روايات، جـ5، ص34؛ رانسيمان: الحملات، جـ2، ص144.
(147) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ3، ص44.
(148) المصدر السابق، جـ4، ص191.
(149) ابن العديم: زبدة الحلب، ص297؛ محمود سعيد عمران: القادة الصليبيون الأسرى، ص75.
(150) ابن شداد: النوادر، ص263.
(151) المؤرخ الرهاوي: روايات، ضمن الموسوعة، جـ5، ص74.
(152) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ1، ص263؛ ابن شداد: النوادر، ص263؛ Artiya: Crusader, p.204.
(153) الشارتري: الحملة، ص282.
(154) وليم الصوري: الحروب الصليبية، جـ3، ص44.
(155) ابن شداد: النوادر، ص263.
(156) الشارتري: الحملة، هامش رقم (1)، ص290؛ رانسيمان: الحملات، جـ2، ص269.
(157) المؤرخ الرهاوي: روايات، ضمن الموسوعة، جـ5، ص33؛ ؛ ميخائيل السوري: الموسوعة، جـ5، ص101.
(158) جوانفيل: القديس لويس، ص178.
(159) المصدر نفسه.
(160) الشارتري: الحملة، ص282؛ Nicholson: Growth, p 424.
(161) رانسيمان: الحملات، جـ2، ص203.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً: المصادر العربية: -

1. الكتاب المقدس

2. ابن الأثير (ت: 630هـ/ 1232م): عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، جـ9، 10، دار صادر، بيروت، ط6، 1995م.

3. الحموي (ت: 626 هـ/1228م): ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، جـ1،2،3،4، دار الفكر، بيروت، (د. ت).

4. ابن الجوزي (ت: 597هـ / 1200 م): عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جـ1، 10، تحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

5. الرازي (ت: 721هـ/1321 م): محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، جـ1، تحقيق: محمود خاط، مكتبة لبنان، بيروت، 1950.

6. الزمخشري (ت: 538هـ / 1143م): محمود بن عمر: الفائق في غريب الحديث، جـ2، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2، (د.ت).

7. أبو شامة (ت: 665هـ /1267م): شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، جـ1، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.

- الذيل على الروضتين، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، دار الجيل، بيروت، ط 2، 1974م.

8. ابن شداد (ت 632هـ/1224م): بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تمي: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق:

جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994م

9. الطبري (ت: 310هـ/922م): محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، جـ4، 13، دار الفكر، بيروت، 1984م.

10. ابن عبد الظاهر (ت 692هـ/1292م): محي الدين عبد الله بن رشيد الدين: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر: عبد العزيز الخويطر، (د. ن.)، الرياض، 1976م.

11. ابن العديم (ت: 660هـ/1261م): كمال الدين أبي القاسم عمر بن هبة الله الحلبي الحنفي: زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

12. العظيمي (ت: 556هـ / 1161م): أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد: تاريخ العظيمي، تحقيق: علي سويلم، الجمعية التاريخية التركية، أنقره، 1988م.

13. ابن قدامة (ت: 620هـ/ 1223م): عبد الله بن أحمد بن المقدسي: المغني، جـ9، دار الفكر، بيروت، 1985م،

14. القلقشندي (ت: 821هـ/ 1418م): أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، جـ14، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق، 1987م.

15. ابن كثير (ت 774هـ/1372م): عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي: البداية والنهاية، جـ12، مكتبة المعارف، بيروت، (د. ت).

16. الماوردي (ت: 450هـ / 1058م): أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري: الأحكام السلطانية، جـ1، تحقيق: محمد فهمي السرجاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط 1، (د.ت).

17. ابن منظور (ت: 711 هـ /1311م): (محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، جـ4، جـ13، دار صادر، بيروت، ط1، (د. ت).

18. ابن منقذ (ت: 58هـ/1188م): مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الكناني الشيزري: الإعتبار، حرره: فيليب حتى، الدار المتحدة للنشر، بيروت، 1981م.

19. نظام الملك (ت: 485هـ/1092م): نظام الملك حسين الطوسي: سياست نامة أو سياسة الملوك، جـ1، تحقيق: يوسف حسين بكار، دار الثقافة، الدوحة، ط2، 1986م.

ثانياً: المصادر المعربة: -

20. ألبرت فون آخن المعروف بـ (ألبرت اكس) (ت: ق 6هـ/12م): تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 2007م.

21. بادربون(ت: 624هـ/1227م): أولفر أوف بادربون: الاستيلاء على دمياط، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ34، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، ص 7 – 119.

22. باسيليوس: قصة الرهبا، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ5، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م.

23. جوانفيل(ت: 717هـ/1317م): جان دي جوانفيل: القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، 1968م.

24. ريموندجيل (ت: ق 6هـ/12م): تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، نقله إلى الإنجليزية: جون هيوم هيل ولوريتال هيل، نقله إلى العربية: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999م.

25. الشارتري (ت: 521هـ/1127م): فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلي بيت المقدس (الاستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة ودراسة وتعليق: قاسم عبده قاسم، دار الشروق، القاهرة، 2001م.

26. ابن العبري (ت: 685هـ/1286م): غريغوريوس أبي الفرج بن أهرون الطبيب المالطي: روايات ابن العبري، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ5، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م، ص 312 – 464.

27. فيليب دي نوفار (ت: 624هـ/1226م): حروب فردريك الثاني ضد الإيبليين في سوريا وقبرص، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ35، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م.

28. المؤرخ الرهاوي المجهول (ت: 545هـ/1150م): روايات المؤرخ الرهاوي المجهول، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ5، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م.

29. مؤرخ مجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمه وقدم له وعلق عليه: حسن حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958م.

30. مؤرخ مجهول: ذيل وليم الصوري، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1994م.

31. مؤرخ مجهول: الحرب الصليبية الثالثة صلاح الدين وريتشارد، جـ1، جـ2، ترجمة وتعليق: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م.

32. مؤلف مجهول: حملة رتشارد إلى أراضي القدس المقدسة، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ31، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م.

33. ميخائيل السوري (ت: 569هـ/1173م): ميخائيل السوري الكبير: روايات ميخائيل السوري الكبير، ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ5، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م.

34. وليم الصوري (ت: 581هـ/1185م): الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، جـ1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1991م.

- الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، جـ2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م.

- الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، جـ3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م.

- الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، جـ4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م.

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة: -

35. أحمد ارحيم هبو: تاريخ الشرق القديم (سورية)، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1993م.

36. ستيفن رانسيمان: تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، جـ1، جـ2، جـ3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1994م.

37. سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، صفحه مشرقه في تاريخ الجهاد الإسلامي، جـ1، جـ2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1986م.

38. سهيل زكار: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، جـ1، دار الفكر، دمشق، 1995م.

39. عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، جـ1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م.

40. عبد اللطيف عامر: أحكام الأسرى السبايا في الحروب الإسلامية، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، 1986م.

41. عبد اللطيف عبد الهادي السيد: الحروب الصليبية من خلال كتابات جاك دي فيتري، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2006م.

42. علي السيد علي: العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبين، عين للدراسات، القاهرة، 1996م.

43. محمد عبد الله المقدم: الجهود التبشيرية للكنيسة الكاثوليكية في عصر الحروب الصليبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 1010م.

44. محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب في القرنين 12 - 13 م / 6 – 7 هـ، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، 1999/ 2000م.

45. محمود سعيد عمران: القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين 493 – 531هـ / 1100 – 1137م، دار النهضة العربية، بيروت، 1986م

46. مروج حسن عسيلة: جهود المسلمين في تحرير أسراهم 1 - 692هـ / 621 – 1292م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، 2010م.

47. ممدوح حسين علي حسين: الحروب الصليبية في شمال إفريقية وأثرها الحضاري، 668– 792هـ/1270– 1390م، دار عمار، عمان، 1998م

48. منصور بن مقعد: احتجاز الرهائن وعقوبته (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة نائف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2006م.

رابعاً: المراجع الأجنبية: -

49. Artiya, H. M.: Knowledge of Arabic in the Crusader States in the twelfth and thirteenth Centuries, Journal of Medieval History, Vol. 25, Number 3, September 1999, pp. 203-213

50. Baldwin M.W.: «The latin States under Baldwin III and Amaric I 1193 -1179», in: A History of the Crusades, Vol. I, ed. by: Setton, (London, 1969, pp. 528 -562.

in: A History of the Crusades, Vol. VI, ed. by: Setton, London, 1989, pp .175 – 221.
64. Kedar B.Z.: Crusade and Mission, New Gersey, 1984.
65. Lamb H.: The crusades, Iron Mien & Saints, London, 1934.
- The Crusades the Flame of Islam, London, 1930.
66. Lev Y.: « Prisoners of War during the Fatimid-Ayyubid Wars with the Crusaders, » in: Tolerance and Intolerance: Social Conflicts in the Age of the Crusades, ed. by: M. Gervers and J. M. Powell, Syracuse, 2001, pp. 11- 27.
67. Nicholson R.A.: « The Growth of the Latin States 1118-1144 », in: A History of the Crusades, Vol. I, ed. by: Setton, London, 1969, pp.410-448.
- Joscelyn I Prince of Edessa, Press, 1954.
68. Oldenbourg Z.: The Crusades, Translated from the French, by Anne Carter, New York, 1967.
69. Painter S.: «The Third Crusade: Richard the Lion Hearted and Philip Augustus», in: A History of the Crusades, Vol. II, ed. by: Selton, London, 1902, p72.
70. Richard J.: "The Political and Ecclesiastical Organization of the Crusader States." in: A History of the Crusades, Vol. V, ed. by: Setton, London, 1985, pp.193-250.
71. Runciman S.: « The first Crusade: Antioch to Ascalon », in: A History of the Crusades, Vol. I, Ed. By: Setton, London, 1969, pp.308-342.
72. Smail R.C.: Crusading Warfare 1097-1193, London, 1978.
73. Sterns I.: "The Teutonic Knights in the Crusader States," in: A History of the Crusades, Vol. I, Ed. By: Setton, London, 1985, pp. 315-378.
7 4. Stevenson W.B.: The Crusaders in the East, Beirut, 1968.
75. Tate G.: The Crusades and the Holy Land, London, 1991.
76. Vicaire M.H. : Saint Dominic and his Times, Wisconsin, 1990.
51. Bishko C.J.: « The Spanish and Portuguese Reconquest, 1095-1492 », in: A History of the Crusades, Vol.III, ed. by: Setton, London, 1975, pp .396 – 465.
52. Brodman J.W. : « The Rhetoric of Ransoming: A Contribution to the Debate over Crusading in Medieval Iberia, » in: Tolerance and Intolerance: Social Conflicts in the Age of the Crusades, ed. by: M. Gervers and J. M. Powell, Syracuse, 2001, pp. 41-52.
53. Cleve, T. V: "The Fifth Crusade". In: A History of the Crusades, Vol. II, ed. by: Setton, London, 1969, pp. 377–428.
54. Duggan A.: The Story of the Crusades 1097-1291, London, 1963.
55. El- Azhari T.K.: The Salguqs of Syria, Berlin, 1997.
56. Evans A.P.: « The Albigensian Crusade », in: A History of the Crusades, Vol.II, ed. by: Setton, London, 1969, pp.277 – 324.
57. Fink H.S.: «The Foundation of The Latin States 1099-1118», in: A History of the Crusades, Vol. I, ed. by: Setton, London, 1969 pp.368 – 409.
58. Fouler A.: The Epic Cycle of the Crusades." In A History of the Crusades. Vol. VI, ed. by: Setton, London, 1989, pp. 98—1 15.
59. Friedman Y.: « Women in captivity and their ransom during the Crusader period, » in: Cross Cultural Convergences in the Crusader Period, ed. by: M.E. Goodich, New York, 1995, pp .75 – 89.
60. Gibb H.: « Zengi and the fall of Edessa», in: A History of the Crusades, Vol. I, ed. by: Setton, London, 1969.
61. Henderson P.: Richard Coeur de Lion: A Biography, London, 1959.
62. Holt P.m.: Early Mamluk, Diplomacy 1260-1290 Treaties of Baybars and Qalawun with Christian Rulers, New York,
1995.
63. Jacoby D. : « Social Evolution in Latin Greece, »

Hostage In The Islamic Near East The Time Of The Crusades 489-692 AH / 1095-1292 AD

Mohamad Abdullah Mohamad Mahyoob Almokadam
Department of History, College of Arts, University of Taiz, Yemen
E-mail: mmokadam@gmail.com

Abstract

The phenomenon of hostages has deep roots in the history of mankind, However, it has emerged during the struggle among Islamic forces and Christian in the Near East era as a natural result of the large number of peaceful and military relations as well as the complexity of that relations among those forces. Therefore, this study will address the definition of hostages phenomenon, historical roots, motivations, main stages, fields, categories of the hostages, social status, treatment of the hostages, conditions and places of detention, fate of the hostages, ways of their release, effects of detention, and consequences.

Keyword: hostages, Near East, Wars, Crusader, Crusades